

موقف الإمام عبد الحليم محمود (ت: ١٣٩٨ هـ)

من علم الكلام (عرض ودراسة)

إعداد الدكتور

هاني علي سليم طيلون

أستـــاذ العقيـــدة والفلسفـــة المساعـــد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنين بالقاهرة ـ جامعة الأزهـر


بسم الله الرحمن الرحيم

موقف الإمام عبد الحليم محمود ت(١٤٩٨ هـ) من علم الكلام

(عرض ودراسة)

هاني علي سليم طيلون

تخصص العقيدة والفلسفة ، قسم أصول الدين، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: hany. tailoun@gmail. com

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى بيان موقف الإمام عبد الحليم محمود من علم الكلام، وقد اعتمدت فيه على المنهج التحليلي الاستنباطي، حيث قمت بعرض كلامه وتحليله، ثم استخرجت من هذا العرض والتحليل موقفه من علم الكلام، وقد اشتمل على تمهيد، وأربعة مطالب، أما التمهيد: فتحدثت فيه عن ترجمة الإمام عبد الحليم محمود، وأما المطلب الأول: تحدثت فيه عن علم الكلام بين القبول والرفض، والمطلب الثاني: ذكرت فيه موقف الإمام عبد الحليم محمود من علم الكلام، والمطلب الثالث: تحدثت فيه عن أهم المسائل الكلامية التي تناولها الإمام عبد الحليم محمود، والمطلب الرابع: ما ينبغي أن يكون عليه علم الكلام عند الإمام عبد الحليم محمود، وقد توصلت من خلال هذه الدراسة إلى أن موقف الإمام عبد الحليم محمود من علم الكلام هو موقف وسط، يتلخص في موقفين: الأول: يتبنى من خلاله ذم المشتغلين بعلم الكلام، واعتباره بدعة، معضدًا ذلك بنقولات متعددة من أئمة السلف، وهذا بالنسبة لعلم الكلام القائم على الجدل العقيم، والموقف الثاني: يتلخص في أمرين: الأول: يسلك من خلاله مسلك علماء الكلام في أثناء عرضه لبعض مسائل العقيدة، والأمر الثاني: هو ما ينبغي أن يكون عليه علم الكلام، وذلك بأن يدور في موضوعاته حول إثبات النبوة، والدعوة إلى الله - تعالى-.

الكلمات المفتاحية:

موقف - علم الكلام - عبد الحليم محمود - الصفات - القدر - الوجود - الجدل - الدعوة - النبوة

Imam Abdel-Halim Mahmoud's (died in 1398 A. H.)
Attitude towards Theology
An Expositional Study

By: Hany Ali Saleem Tailoun
Majored in Creed and Philosophy
Department of Osoul Al- Deen
Faculty of Islamic and Arabic Studies for Men in Cairo
Azhar University

Abstract

This Research aims at demonstrating the attitude of Imam Abdel- Halim Mahmoud towards theology. The research applies the analytical inductive approach as the researcher displays and analyzes the speech of the Imam then he figures out his attitude towards theology. The research includes a preamble and four research requests. The preamble highlights the biography of Imam Abdel- Halim Mahmoud. The first research request discusses theology in between acceptance and rejection. The second research request traces the attitude of Imam Abdel- Halim Mahmoud towards theology whereas the third request handles the most important theological issues tackled by Imam Abdel- Halim Mahmoud. The last research request demonstrates the idea of how theology should be like according to Imam Abdel- Halim Mahmoud. The research has found out that the attitude of Imam Abdel- Halim Mahmoud towards theology is moderate and it can be summed up in two standing points: in the first، Imam Abdel- Halim Mahmoud condemns those who are preoccupied with theology considering it a kind of unfavored innovation supported by numerous quotations taken from the heritage of the Imams of *Salf* (those who followed and copied prophet Muhammad peace be upon him) and this is only applicable to theology based on unproductive dialectics. The second standing point includes two matters: in the first، Imam Abdel- Halim Mahmoud imitated theologians while introducing some issues related to the Muslim creed whereas the second is dedicated to how theology should be like as its topics should revolve around proving prophethood and calling for Allah.

Key words: attitude، Abdel- Halim Mahmoud، attributes، fate، existence، dialectics، call for Allah، prophethood

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا وقدوتنا ومعلمنا محمدًا رسـول الله، أرسـله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدًا، فاللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد،،،

فيُعدّ علم الكلام من أشـرف العلوم الإسـلامية؛ إذ هو يمثل في حقيقته أصـالة الفكر الإسـلامي، ويكشـف عن عبقرية المسـلمين في وضـع المناهج وأسـس البحث العلمي بالمقاييس العقلية، ورغم الدور الذي أداه هذا العلم في تثبيت كيان الأمة الإسـلامية، والذود عن عقيدتها من الشـبهات والانحرافات.

غير أن التراجع والانحسـار الذي أصـاب الفكر الإسـلامي عمومًا بعد القرن الخامس الهجري انعكس سـلبًا على الفكر الكلامي، فاتسـم هذا الأخير بالتعقيد والجمود، فضـلا عن تأثره بالفلسـفة اليونانية في موضـوعاته ومصـطلحاته، حتى أدى ذلك ببعض العلماء إلى الوقوف من علم الكلام موقفًا معارضًا ومناهضًا له، تمثل في إصدار بعض الفتاوى المحرمة للخوض فيه والاشتغال به.

ورغم هذا، إلا أننا نرى أنه كان من الأجدر بأصـحاب هذا الموقف أن يتصـدوا لما طرأ على علم الكلام من التعقيد والجمود، والتأثر بالفلسفة اليونانية، والإسهام في تجديده وتطويره، بدلا من الوقوف منه موقف المعارض، مما انعكس على وضعية الأمة الفكرية، وحال دون تقدمها وازدهارها.

وإن أهمية علم الكلام لا يماري فيها أحد؛ ولذلك فقد انبعث تيار تجديدي إصـلاحي في العصـر الحديث، يمثله علماء مصلحون ظهروا في ربوع الوطن الإسلامي، منادين بضرورة تجديد علم الكلام وأهميته في حياة المسـلمين، فانبروا بأقلامهم يجددون في هذا العلم ويزيلون عنه ما أصـابه، من أجل صـياغة علم كلام يسـتجيب للتحديات المعاصـرة، خال من أي تعقيد، وفي متناول الجميع، للخوض

فيه وممارسته والاشتغال به؛ للذود عن الإسلام ونشره وتبليغه وإقناع الناس به، بلغة معاصرة سهلة وبسيطة وبمناهج جديدة.

ولقد امتاز عالمنا الإسلامي في كل عصر من عصوره بأعلام أفذاذ حملوا العلم على أكتافهم، وجعلوا جُل أوقاتهم في خدمة العلم وأهله، حتى كان الواحد منهم موسوعة علمية بذاته، وممن ذاع صيته في هذا المضمار، وشهد له أهل عصره وأقرانه الإمام عبد الحليم محمود رحمه الله.

فلقد كان - رحمه الله- إمامًا في الدعوة إلى الله - تعالى- بسلوكه وقدوته قبل كلامه وتوجيهه، وكانت غيرته على الإسلام واضحة في كل أعماله وأقواله، فكان ركنًا ركينًا في حماية الدين والدفاع عنه، وفي الحفاظ على وحدة المسلمين، فقدم وأجاد بجهود معتبرة في علم الكلام، حيث قام بمجهودات علمية وعملية عظيمة تتمثل في بيان ما ينبغي أن يكون عليه علم الكلام، وحتى يتضح لنا هذا جاء موضوع بحثنا بعنوان (موقف الإمام عبد الحليم محمود ت (١٤٩٨ هـ) من علم الكلام عرض ودراسة).

ويأتي هذا البحث رصدًا للحاجة الملحة التي تتطلبها إعادة النظر في تراث أسلافنا وخاصة المتكلمين؛ لاستلهام الدروس والعبر، وإعادة بناء مجد الحضارة الإسلامية بما يعين على أداء واجب العبودية لله - تعالى- في تآلف وتعاون ينبذ الفرقة، ويحقق الوحدة، ويصد عنا دعاوى الإلحاد والأفكار الهدامة التي انتشرت في مجتمعنا انتشار النار في الهشيم.

وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد، وأربعة مطالب، وخاتمة.

أما **التمهيد**: فتحدثت فيه عن ترجمة الإمام عبد الحليم محمود، وأما **المطلب الأول**: فعنوانه: علم الكلام بين القبول والرفض، **والمطلب الثاني**: جاء بعنوان: موقف الإمام عبد الحليم محمود من علم الكلام، **والمطلب الثالث**: أتى بعنوان: أهم المسائل الكلامية التي تناولها الإمام عبد الحليم محمود، **والمطلب الرابع**: بعنوان: ما ينبغي أن يكون عليه علم الكلام عند الإمام عبد الحليم محمود.

وأما **الخاتمة**: فذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال موضوع البحث

تمهيد:

ترجمة الإمام عبد الحليم محمود

- نسبه ومولده:

هو الإمام عبد الحليم محمود بن أحمد، يمتد نسبه إلى الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما، وكان مولده في قرية أبو أحمد من ضواحي مدينة بلبيس بمحافظة الشرقية التابعة لجمهورية مصر العربية في ٢ من جمادى الأولى سنة ١٣٢٨ هـ الموافق ١٢ من مايو ١٩١٠م، والقرية منسوبة إلى جده (أبو أحمد) الذي أنشأ القرية، وأصلحها، وتُسمَّى الآن باسم (السلام)(١).

- نشأته وتعليمه:

لقد شاء الله – تعالى – أن تكون نشأة الإمام عبد الحليم محمود نشأة صلاح مفعمة بمعالم التربية وتزكية النفس، فقد نشأ في أسرة كريمة مشهورة بالصلاح والتقوى، وكان أبوه ممن تعلم بالأزهر، لكنه لم يكمل دراسته فيه، ومع ذلك كان من أحد قضاة المنطقة في ذلك الوقت، وكان من تلاميذ الإمام محمد عبده، ولقد انعكست تلك النشأة على مسيرة حياة الإمام عبد الحليم محمود الدينية والعلمية.

أما عن أسرته فيقول عنها – رحمه الله –: "لم تكن أسرة واسعة الثراء، ولم تكن فقيرة، وإنما كانت ميسورة، وكان نجم الأسرة اللامع هو والدي، كان رجلا مكتمل الرجولة في أخلاقه، إذا عاهد وفّي، وإذا قال صدق، ويكرم الضيف، وكان مشهورًا بالكرم، ويعطف على الفقراء، ويتصدق عليهم، وكان جاره يأمن بوائقه، ويساعد في الملمات بماله وبرأيه، وكان ذا رأى سديد، يلجأ إليه الناس يستشيرونه في أمورهم، ويحكمونه في قضاياهم" (٢).

وكان أبوه حريصًا على أن يعد ابنه الأكبر عبد الحليم الإعداد المتواصل؛ ليكون من حملة لواء الأزهر، وعلى أن يكمل ابنه ما لم يستطع هو إكماله، فألحقه بكتاب القرية على عادة أهل الريف في

---

(١) انظر: شيوخ الأزهر: سعيد عبد الرحمن، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، جـ٥، ص١٥، والحمد لله هذه حياتي: الإمام عبد الحليم محمود، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٣٠.

(٢) الحمد لله هذه حياتي: الإمام عبد الحليم محمود مرجع سابق، ص٣٠.

ذلك الزمان، فأتم الإمام عبدالحليم حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وقد وصف الإمام الفرحة التي غمرت البيت وأهله بذلك الإنجاز الكبير، فقال: "كان يومًا مشهودًا ذلك اليوم الذي ختمت فيه القرآن الكريم، لقد كان والدي في فرح غامر، وكان البيت كله في بهجة وسرور شاملين، وكانت حفلة حافلة بأطيب اللحم والثريد، وختمت بالذكر شكرًا لله تعالى" (١).

لكن سنه الصغيرة حالت دون دخوله الأزهر آنذاك، فألحقه والده بالمدرسة الأولية، ولما أصبح في سن مناسبة للالتحاق بالأزهر رافقه والده إلى الأزهر، وذلك في سنة ١٩٢٣م، وكانت الدراسة في ذلك الحين داخل المسجد نفسه، وفي هذا يقول الإمام: "وكان المسجد منذ بدأ الإسلام إلى عهد قريب يرتبط بالمعهد (أي يرتبط بالعلم) برباط وثيق، وكان المعهد (أي العلم) شديد الارتباط بالمسجد" (٢).

ومكث في الأزهر عامين ينتقل بين حلقاته، حتى تم افتتاح معهد الزقازيق، فألحقه والده به؛ لقربه من قريته، وحصل على الشهادة الثانوية عام ١٩٢٨م، ثم درس القسم العالي في الأزهر، فنال الشهادة العالمية أيضًا، ثم عمل بالتدريس(٣)، وكان لحياة الإمام عبد الحليم محمود في رحاب الأزهر الشريف منذ مطلع صباه الفضل في تهيئته ليبرز كعالم محقَّق يطابق قوله فعله.

ولم يكتف والده بالعمل مدرسًا، بل تطلع لأكبر من ذلك، واختار لدراسة ابنه جامعة السوربون في باريس على نفقته الخاصة، وآثر الإمام أن يدرس تاريخ الأديان، والفلسفة وعلم الاجتماع، واستكمل دراسة الليسانس سنة ١٩٣٧م، ثم في نفس العام التحق بالبعثة الأزهرية التي كانت تدرس هناك للحصول على درجة الدكتوراه، وكانت في موضوع التصوف الإسلامي في شخصية أستاذ السائرين (الحارث بن أسد المحاسبي)، وفي أثناء إعداد الرسالة قامت الحرب العالمية الثانية في سبتمبر سنة ١٩٣٩م، وآثر كثير من زملائه العودة، ولكنه بالإيمان القوي والعزيمة الصلبة أصر على

---

(١) الحمد لله هذه حياتي: الإمام عبد الحليم محمود مرجع سابق ، ص٣٩.

(٢) المرجع السابق، ص٧٥.

(٣) تتمة الأعلام للزركلي: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ط٢، ١٤٢٢هـ، جـ١، ص٢٧٠.

استكمال رسالته رغم الظروف الصعبة بعد انقطاعه عن الوطن، وفي يوم ٨ يونيه سنة ١٩٤٠م نال الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى، وقررت الجامعة طبعها بالفرنسية، وبعد ذلك عاد إلى مصر [١].

- حياته العملية:

عاد الإمام إلى أرض الوطن مزودًا بعدة ثقافات، وتجارب متعددة، وبعقلية إسلامية ليكون واحدًا من رواد الفكر الإسلامي، فعمل مدرسًا لعلم النفس بكلية اللغة العربية بكليات جامعة الأزهر، ثم نقل أستاذًا للفلسفة بكلية أصول الدين عام ١٩٥١م، ثم أصبح عميدًا للكلية عام ١٩٦٤م، وقد ألزم الطلاب بحفظ القرآن الكريم، ثم شغل عضوية مجمع البحوث الإسلامية، ثم أمينًا له، فقام بدراسة أوضاعه، وإعادة هيكلة جهازه الإداري، وأنشأ مكتبته، وأقنع المسئولين في الدولة بتخصيص قطعة أرض بحي (مدينة نصر) للمَجمع؛ لتضم جميع أجهزته العلمية والإدارية، وتأسيس قاعات للاجتماعات، فكان أول من وضع لبنات مجمع البحوث الإسلامية، واهتم بتنظيمه [٢].

وفى عام ١٩٧٠م صدر قرار جمهوري بتعيينه وكيلا للأزهر، فازدادت أعباؤه، واتسعت مجالات جهوده، وقام برحلات متعددة في الداخل والخارج، وكان يلقى كل الحفاوة والتكريم أينما حل، ومع هذا لم يهمل الاهتمام بمجمع البحوث الإسلامية.

ثم تولى وزارة الأوقاف، وأخيرًا مشيخة الأزهر سنة ١٩٧٣م، وكأنما أعدته العناية الالهية ليكون عالمًا دارسًا باحثا ومؤلفًا ومصنفًا ومصلحًا اجتماعيًا كبيرًا، ولهذا باشر في السعي إلى تحقيق أهدافه العلمية السامية، وهي: اهتمامه بالأزهر، وحرصه على إعادة هيبته ومكانته، وتوسيع معاهده، واعتنائه بالمساجد، ودعا إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، ودافع عن اللغة العربية لغة القرآن، وسعى للصلح بين الدول المتنازعة، ودعا إلى وحدة الصف بين الدول من أجل إعادة قوة أمتنا الإسلامية [٣].

---

(١) شيوخ الأزهر: سعيد عبد الرحمن، مرجع سابق، جـ٥، ص١٥.

(٢) المرجع السابق، ص١٦، وتتمة الأعلام للزركلي: محمد خير رمضان يوسف، مرجع سابق، جـ١، ص٢٧٠.

(٣) الأزهر في ألف عام: محمد عبد المنعم خفاجي، على صبح، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة،ط١، ٢٠١٢م، ١٤٣٢هـ، جـ١، ص٣١١.

- شيوخه وتلاميذه:

تلقى الإمام - رحمه الله- تعليمه في القسم العالي بالأزهر على يد جملة من الشخصيات اللامعة من كبار العلماء في العلم والمعرفة نذكر منهم: الشيخ محمود شلتوت، والشيخ حامد محيسن، والشيخ سليمان نوار، والدكتور محمد عبد الله دراز، والشيخ محمد عبد اللطيف دراز، والشيخ الزنكلوني، والشيخ محمد مصطفى المراغي، والشيخ مصطفى عبد الرزاق (١).

وتكلم - رحمه الله- عن علومهم وشيمهم الفاضلة، وغير ذلك فقال: "إن هؤلاء جميعًا كانوا يمتازون بالجد في تحصيل العلم، وما من شك في أنهم لم يضيعوا وقتًا في اللغو، وإنما سهروا الليالي في تحصيل العلم، وكانت ثمرة ذلك أن أصبحوا من النابهين" (٢).

وأما عن تلاميذه: فلقد تمكن الإمام عبد الحليم محمود - رحمه الله- بشخصه وعلمه من جذب الكثير من الطلاب الذين تتلمذوا على يده، نذكر من أبرزهم: شيخ الأزهر السابق الدكتور محمد سيد طنطاوي، والدكتور الحسيني هاشم وكيل الأزهر الأسبق، والدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف الأسبق، والدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الأسبق، والدكتور محمد رجب البيومي، والدكتور رؤوف شلبي، وابنه الدكتور منيع عبد الحليم محمود، والأستاذ حسن عباس زكي وزير الاقتصاد الأسبق، وغيرهم من الشخصيات المرموقة الذين درسوا على يديه في العالم الإسلامي وفي الأزهر الشريف، وكثير مما لا يحصى من تلاميذه، فهو لم يترك التدريس لحظة، ولم تشغله المناصب - على كثرتها- عن رسالته في التعليم، خاصة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية؛ لكونها في ذلك الوقت بالجامع الأزهر، لقناعته - رحمه الله- بقيمة طلب العلم في المسجد.

- رحلاته التي قام بها رحمه الله:

لقد سافر الإمام - رحمه الله- في إطار جهوده العلمية والدعوية إلى عدة دول عربية وغير عربية، منها:

---

(١) الحمد لله هذه حياتي: الإمام عبدا لحليم محمود مرجع سابق، ص٩٠.

(٢) المرجع السابق، ص٩٢.

- رحلته إلى العراق: بدعوة من حكومتها؛ لتنظيم وزارة الأوقاف العراقية، وتنظيم المؤسسات الدينية بها، ووضع تقرير مفصل عن وجوه الإصلاح فيها، ومكث في مهمته شهرًا.
- رحلته إلى دمشق: يمثل الأزهر في مهرجان الإمام الغزالي الذي عقد في دمشق سنة ١٩٦١م.
- رحلته إلى تونس: أستاذًا زائرًا لجامعة الزيتونة ثلاث مرات استغرقت كل منها ثلاثة أشهر.
- رحلته إلى ليبيا: أستاذًا زائرًا للجامعة الإسلامية ثلاث مرات استغرقت كل منها ثلاثة أشهر.
- رحلته إلى قطر: بدعوة من حكومتها، ووضع قواعد بناء التعليم الديني، وألقى كثيرًا من المحاضرات بها.
- رحلته إلى أندونيسيا: أستاذًا زائرًا لجامعة جاكرتا، بدعوة من حكومتها في ١٣ من أغسطس سنة ١٩٧٦ م.
- رحلته إلى باكستان: أستاذًا زائرًا بدعوة من وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- رحلته إلى ماليزيا: أستاذًا زائرًا للمركز الإسلامي لإلقاء محاضرات دينية وتنظيم شؤون المسلمين بها.
- رحلته إلى يوغسلافيا: في ١٣ من مايو سنة ١٩٧٥م.
- رحلته إلى الهند: في ٢٦ من أكتوبر سنة ١٩٧٦م.
- رحلته إلى لندن: لحضور مهرجان العالم الإسلامي في ٣٠ من مارس سنة ١٩٧٦م [(١)].

- **مؤلفات الإمام** رحمه الله:

اتسم الإمام بغزارة إنتاجه الفكري الذي تجاوزت مائة كتاب ما بين تأليف، وتحقيق، وترجمة، ومن أبرزها:

دلائل النبوة ومعجزات الرسول ﷺ، والحمد لله هذه حياتي، ومنهج الإصلاح الإسلامي في المجتمع، وأوروبا والإسلام، والتوحيد الخالص، والإسلام والعقل، وموقف الإسلام من العلم، والمدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي، والأنبياء والرسل، موقف الإسلام من العلم والفن والفلسفة، والتفكير الفلسفي في الإسلام، والفضيل بن عياض، وذو النون المصري، وزين العابدين، وسعيد بن المسيب، وعبدالسلام بن بشيش، والقرآن في شهر القرآن، وأستاذ السائرين الحارث المحاسبي، وسهل بن عبدالله، وسفيان الثوري، وفتاوى عن الشيوعية، وتحقيق كتاب

(١) شيوخ الأزهر: سعيد عبد الرحمن، مرجع سابق، جـ٥، ص١٧.

(لطائف المنن) لابن عطاء الله السكندري، وتحقيق كتاب (المنقذ من الضلال) لحجة الإسلام الامام الغزالي، والقرآن والنبي، والإسراء و المعراج [١].

- **وفاته** رحمه الله:

بعد عودة الإمام عبد الحليم محمود من الحج في١٦من ذي القعدة ١٤٩٨ ه الموافق١٧ أكتوبر١٩٧٨م، قام بإجراء عملية جراحية بالقاهرة، فتُوفِّي على إثرها عن عمر يناهز ٦٨عامًا، وكان آخر ما جرى على لسانه: "الله حق... الموت حق"، وذلك عندما طلب منه أن يتهيأ لإجراء العملية الجراحية، فابتسم، واستسلم راضيًا، وجزم بأن الله والموت حق لا مرية فيهم [٢].

وكان – رحمه الله– قد أخبر عن دنو أجله قبل عام، فبينما هو بالمدينة المنورة بأنوار سيدنا محمد ﷺ، التقى بصديقه وحبيبه الشيخ أحمد عبد الجواد، وقال له: ستأتي لتزورني في قرية السلام العام القادم إن شاء الله، وفى الموعد الذي ضربه له، جاء الشيخ أحمد عبد الجواد إلى قرية السلام بالشرقية لتشييع جنازة صاحبه [٣].

وقد تلقت الأمة الإسلامية نبأ وفاته بالأسى والحزن، وصلى عليه مئات الآلاف من المسلمين الذين احتشدوا بالجامع الأزهر؛ ليشيعوه إلى مثواه الأخير، تاركًا تراثًا فكريًا زاخرًا، ما زال يعاد نشره وطباعته، وتم دفنه في مسقط رأسه في القرية التي تسمى الآن بـــ (دار السلام) بلبيس محافظة الشرقية، حيث يوجد مقامه، والمسجد الذي بناه في حياته، رحم الله – تعالى– الإمام رحمة واسعة، وجزاه عن أعماله خير الجزاء.

(١) الأزهر في ألف عام: محمد عبد المنعم خفاجي، على صبح، مرجع سابق، جـ١، ص٣١٢.

(٢) من أعلام العصر: محمد رجب البيومي ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، ص٢٩٠.

(٣) الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود: محمد خالد ثابت، دار المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٥م، ص١٤٧.

المطلب الأول

علم الكلام بين القبول والرفض

مع أن علم الكلام قام يدافع عن العقيدة الإسلامية، ويذود عن حياضها، في وجه التيارات الفكرية الهدامة، والشبه التي أثيرت ضد الإسلام من الداخل والخارج، فقد اختلفت نظرة علماء الإسلام إلى علم الكلام من حيث تعلمه والاشتغال به، بين مؤيد ومعارض، ومادح وقادح، وبين هذين الاتجاهين اتجاه وسط يمثله موقف الإمام عبد الحليم محمود وغيره من العلماء، لكننا سنفرده بالحديث في المطلب الثاني، وفيما يلي عرض موجز لكل من الاتجاهين:

الاتجاه الأول: وهم جمهرة علماء الكلام وغيرهم، ويرون أن هذا العلم هو أشرف العلوم، وأرقاها منزلة، وأعلاها رتبة، وأنه أعظم العلوم موضوعًا، وأقواها حجة ودليلاً، ورئيس العلوم الشرعية وأساس العلوم.

فهذا هو الإمام الأشعري الذي أعد رسالة في (استحسان الخوض في علم الكلام)، تلك الرسالة التي تُعد من الرسائل المهمة في بيان أصالة علم الكلام الإسلامية وأهميته، وقد قدم لنا أدلة المعترضين علي علم الكلام تمهيدًا للرد عليهم، وليظهر لنا أصالة علم الكلام من خلال ثلاثة وجوه علي النحو التالي:

الأول: أن الرسول – ﷺ– لم يقل: بأن من بحث عن المسائل الكلامية وتكلم فيها يكون مبتدعًا أو ضالاً.

الثاني: أن لهذه المسائل أصولاً نقلية، حيث إنها موجودة في القرآن الكريم والسنة النبوية مجملة غير مفصلة.

الثالث: أن رسول الله – ﷺ– كان عالمًا بمسائل علم الكلام، ولم يكن جاهلا لها، غاية ما في الأمر أنها لم تحدث في أيامه فيتحدث عنها.

وتأكيدًا لما انتهي إليه الإمام الأشعري وجدناه يقول: "إنه لو حدث في أيام الرسول –ﷺ– الحديث عن مسائل كلامية لتحدث عنها وبينها كما بين سائر ما حدث في أيامه" (١).

(١) رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام: الإمام أبو الحسن الأشعري، دائرة المعارف النظامية، الهند، ط٢، ١٣٤٤هـ، ص٨٨ وما بعدها، وانظر: أصالة علم الكلام: محمد صالح السيد، دار الثقافة والنشر، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٢٣.

وقد أشار الإمام أبو حنيفة إلى مثل هذا في رده على من ذم علم الكلام بحجة أن الصحابة والسلف لم يتعلموه ولم يخوضوا فيه، فقال: "وقد ابتلينا بمن يطعن علينا، ويستحل الدماء منا، فلا يسعنا أن نعلم من المخطئ منا ومن المصيب، وأن نذب عن أنفسنا وحرمنا، فمثل صحابة النبي الكريم كقوم ليس بحضرتهم من يقاتلهم فلا يتكلفون السلاح، ونحن قد ابتلينا بمن يقاتلنا فلا بد لنا من السلاح" (١).

وعلي هذا النحو يمكننا القول بأن الإمام الأشعري استطاع بالفعل من خلال رسالته هذه أن يدافع عن علم الكلام ويؤيده، ويؤكد على اعتماده على العقل والنقل.

ويعطي الإمام الغزالي - في الرسالة اللدنية- لعلم الكلام منزلة كبيرة ومهمة، حيث يعتبره من العلوم الشرعية، التي قسمها إلى جزأين عظيمين، الأول علم الأصول، والثاني علم الفروع أو العلوم العملية، ويضع على قمة علم الأصول علم التوحيد والذي يسمى بعلم الكلام، ويرى أن موضوع هذا العلم ذات الله وصفاته، والأنبياء، والصحابة والحياة والموت والأخرويات، ويحدد أصول ذلك العلم بأنها: القرآن أولاً ثم السنة، ثم الدلائل العقلية والبراهين القياسية بعد ذلك (٢)، وهكذا أعطي الإمام الغزالي لعلم الكلام أهمية خاصة في هذه الرسالة، واعتبره علمًا من العلوم الشرعية.

وإذا كان الإمام الغزالي قد ألجم العوام عن الخوض في علم الكلام، فإن هذا الإلجام لا يعني أنه لا يرى ضرورةً لعلم الكلام، وإنما يعنى أن العوام ليسوا بحاجة إلى أدلة علم الكلام في إيمانهم بالعقائد؛ لأن إيمانهم إيمان بسيطً، أما إيمان الخواص ذلك الإيمان القائم على البرهان والحجة، حتى لا يبقى في ذلك الإيمان مجال للاحتمال، فهو لا يتحقق بهذا المعنى إلا للعلماء، وباستخدام أدلة علم الكلام وبراهينه (٣).

---

(١) العالم والمتعلم: الإمام أبو حنيفة النعمان، تحقيق: عبد الوهاب الندوي وزميله، مكتبة الهدى، حلب، ط١، ١٩٧٢م، ص٣٤.

(٢) الرسالة اللدنية: الإمام أبو حامد الغزالي، مطبعة كردستان العلمية، مصر، ١٣٢٨هـ، ص١٥.

(٣) إلجام العوام عن علم الكلام: الإمام أبو حامد الغزالي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٣٨هـ، ٢٠١٧م، ص٦٤ وما بعدها.

ومن ثم يرى أن الاشـتغال بعلم الكلام من فروض الكفايات، فيقول: "اعلم أن التبحر في هذا العلم والاشتغال بمجامعه ليس من فروض الأعيان، وهو من فروض الكفايات" [(١)].

وقال الإمام ابن حجر الهيتمي: "وأما تعليم الحجج الكلامية والقيام بها للرد على المخالفين فهو فرض كفاية، اللهم إلا إن وقعت حادثة وتوقف دفع المُخالف فيها على تعلم ما يتعلق بها من علم الكلام أو آلاته، فيجب عينًا على من تأهل لذلك تعلُّمه للرد على المخالفين" [(٢)].

وقد أبان عضد الدين الإيجي عن فائدة الخوض في علم الكلام، فرأى أنه يحقق خمس فوائد:

الأولى: الترقي من حضيض التقليد إلى ذروة الإيقان، قال – تعالى – (يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) (المجادلة: آية ١١).

الثانية: إرشاد المسترشدين بإيضاح الحجة لهم، وإلزام المعاندين بإقامة الحجة.

الثالثة: حفظ قواعد الدين عن أن تزلزلها شبه المبطلين.

الرابعة: أنه تبنى عليه العلوم الشرعية، وإليه يؤول أخذها واقتباسها.

الخامسة: صحة النية والاعتقاد؛ إذ بها يرجى قبول العمل، وغاية ذلك كله الفوز بسعادة الدارين"[(٣)]، فظهر من ذلك أن صـرف الهمة لتحصـيل هذا العلم وتعليمه للناس مقدم على غيره من العلوم؛ لأن العبادة لا تصح إلا بعد معرفة المعبود.

وقد سـعى أصـحاب هذا الاتجاه إلى تدعيم رأيهم هذا بعدد من الأدلة منها: حث القرآن الكريم على النظر في ملكوت السـموات والأرض، وذم الذين لا يتفكرون، ولا يسـتخدمون عقولهم، كما أنه قد عرض لمجادلة بعض الأنبياء لأقوامهم؛ فقد عرض لمجادلة نوح – عليه السلام – قومه حتى قال قومه: (قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)(هود: آية ٣٢)، وعرض لمجادلة إبراهيم – عليه السلام – مع النمرود بقوله: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ

(١) الاقتصاد في الاعتقاد: الإمام أبو حامد الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م، ص١٦.

(٢) الفتاوى الحديثية: ابن حجر الهيتمي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ص٢٠٧.

(٣) كتاب المواقف: عضد الدين الإيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، جـ١، ص٤٠.

إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)(البقرة: آية ٢٥٨).

وعرض كذلك لمجادلة موسى - عليه السلام - مع فرعون في قوله - تعالى-: (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى * قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى * قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى)(طه: آية ٤٩-٥٢).

وعرض كذلك سيرة غيرهم من الأنبياء في جدال أقوامهم، وإقامة الدليل عليهم، وحجتهم في ذلك أنه: كيف تكون المحاجّة في الدين مذمومة، والقرآن يطالب بتقديم البرهان، وإقامة الدليل والإتيان بالبينة، كما أنه ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة في جدال الدهرية والمشركين ومنكري البعث، ومنكري النبوة.

وتضمن القرآن الكريم آيات تتعلق بالعقيدة والدفاع عنها بلغت حدًا فاق تلك التي تتعلق بالأحكام الشرعية، وقد كان القرآن الكريم هو الملهم لعلماء الكلام والباعث والمحرك لهممهم، وهذا ما أكده الإمام الأشعري حين ذهب إلى أن" كلام المتكلمين في الحجاج في توحيد الله إنما مرجعه إلى هذه الآيات التي ذكرناها، وكذلك سائر الكلام في تفصيل فروع التوحيد والعدل إنما هو مأخوذ من القرآن "(١).

كما احتجوا أيضًا بأن المحظور من هذا العلم لا يخلو إما أن يكون: ألفاظه، أو معناه، أو ما يفضى إليه.

فإن كان المحظور ألفاظه: من نحو الجوهر والعرض وغيرها من الاصطلاحات الغريبة التي لم تعهدها الصحابة - رضي الله عنهم - قلنا: إنها اصطلاحات، ولا مشاحة في الاصطلاح، شأنه في ذلك شأن العلوم والمصطلحات الحديثة التي وجدت على الساحة الفكرية الإسلامية، بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - وانقضاء عصر الصحابة - رضوان الله عليهم- من بعده، كما أن إحداث عبارات للدلالة بها على مقصود ما أمر صحيح ليس فيه شيء، كإحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها في الأمور المباحة.

(١) رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام، مطبوعة مع كتابه اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع: الإمام أبو الحسن الأشعري نشر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٣م، ص٩.

وإن كان المحظور معناه: فنحن لا نعني به إلا معرفة الدليل على حدوث العالم ووحدانية الخالق - ﷻ- وصفاته، كما جاء في الشرع، فمن أين تحرم معرفة الله - تعالى - بالدليل؟

وإن كان المحظور ما يفضي إليه: من نحو التشعب، والتعصب، والعداوة، والبغضاء، قلنا: إن ذلك وإن كان حرامًا ويجب الابتعاد عنه، إلا أن هذا ليس خاصًا بهذا العلم، فالكبر، والعجب، والرياء، وطلب الرياسة، قد يؤدى إليها الاشتغال بعلم الحديث، والتفسير، والفقه، والاشتغال بسائر العلوم الأخرى، من نحو الطب، والهندسة، وهو أيضًا محرم يجب الاحتراز عنه، ولكن هذا لا يمنع من تعلم هذه العلوم السابقة لأجل إفضائها إلى تلك المحرمات [١].

الاتجاه الثاني: فقد ذهب كثير من الفقهاء وأهل الحديث من السلف - رضوان الله عليهم أجمعين- وغيرهم إلى تحريم علم الكلام، وذم المشتغلين به، واعتباره بدعة، ومراء في الدين، ونزاعًا بلا حجة، وجدالاً بالباطل، وقالوا: إن الرسول - ﷺ- ما ترك شيئًا من الدين إلا وبيّنه، وإن الله - تعالى - قد أكمل الدين وأتم النعمة، ويصور ذلك الأقوال المروية عنهم:

قيل للإمام أبى حنيفة: " ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام؟ فقال: مقالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة؛ فإنها بدعة "[٢].

وقال تلميذه أبو يوسف - رحمه الله-: " من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب غريب الحديث كذب، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس "[٣].

---

(١) إحياء علوم الدين: الإمام أبو حامد الغزالي، تحقيق: سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، جـ١، ص١٢٨، والتوحيد عند خلص المتكلمين: عبد الحميد عز العرب، دار المنار، القاهرة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، جـ١، ص٥٤.

(٢) أحاديث في ذم الكلام وأهله: أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد المقرىء، تحقيق: ناصر الجديع، دار أطلس للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، ص٨٦.

(٣) المرجع السابق، ص٨٥.

ومما يؤكد ذلك ما نقل عن الإمام مالك قوله: " إياكم والبدع، قيل: يا أبا عبد الله وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان "(١).

وقال ابن عبد الأعلى - رحمه الله -: سمعت الشافعي - رضي الله عنه - يوم ناظر حفصًا الفرد -وكان من متكلمي المعتزلة- يقول: لأن يلقى الله - عز وجل - العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير من أن يلقاه بشيء من علم الكلام، ولقد سمعت من حفص كلامًا لا أقدر أن أحكيه، وقال أيضًا: قد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط، ولأن يُبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام.

وقال أيضًا: " لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفروا منه فرارهم من الأسد "، وقال أيضًا: " إذا سمعت الرجل يقول: الاسم هو المسمى أو غير المسمى، فاشهد بأنه من أهل الكلام، ولا دين له، وقال: حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأخذ في الكلام "(٢).

وقال الإمام أحمد بن حنبل: " لا يفلح صاحب الكلام أبدا، ولا تكاد ترى أحدًا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل، وبالغ في ذمه حتى هجر الحارث المحاسبي - مع زهده وورعه- بسبب تصنيفه كتابًا في الرد على المبتدعة، وقال له: ويحك ألست تحكي بدعتهم أولا، ثم ترد عليهم؟ ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة، والتفكر في تلك الشبهات، فيدعوهم ذلك إلى الرأي والبحث؟ وقال الإمام أحمد - رحمه الله - أيضًا: علماء الكلام زنادقة "(٣).

---

(١) ذم الكلام وأهله: أبو إسماعيل الهروي، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، جـ٥، ص٧٠.

(٢) إحياء علوم الدين: الإمام أبو حامد الغزالي، مرجع سابق، جـ١، ص١٢٧.

(٣) المرجع السابق، جـ١، ص١٢٨.

وقال الإمام الجنيد: " أقلُّ ما في الكلام سـقط هيبة الرب من القلب، والقلب إذا عَرِيَ عن الهيبة من الله – تعالى – فقد عَرِيَ من الإيمان "(١).

وقد اسـتدل أصـحاب هذا الاتجاه على ما ذهبوا إليه بما ورد عن الرسـول – ﷺ – من التحذير من البدعة وشـرورها عندما قال: (إياكم ومحدثات الأمور، فإن شـر الأمور محدثاتُها، وكلُّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)(٢).

وبما ورد عن رسول الله – ﷺ – أنه خرج ذات يوم والناس يتكلمون في القدر، وكأنما تَفَقَّأَ في وجهه حبُّ الرُّمَّانِ من الغضـب، وقال: " ما لكم تضـربون كتاب الله بعضـه ببعض، بهذا هَلَكَ من كان قبلكم"(٣)، واسـتدلوا كذلك بمحنة الإمام أحمد، وصـموده في مشـكلة خلق القرآن، ورفضـه أن يتكلم فيما سكت عنه السلف الصالح.

وقد بنوا كلامهم على أنه مما سكت عنه الصحابة، مع أنهم أعرف بالحقائق وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم إلا لعلمهم بما يتولد منه من الشر؛ ولذلك قال النبي ﷺ (هلك الْمُتَنَطِّعُونَ) قالها ثَلَاثًا(٤)، أي المتعمقون في البحث والاستقصاء، واحتجوا أيضًا بأن ذلك لو كان من الدين لكان ذلك أهم ما يأمر به رسول الله ﷺ، ويعلم طريقه ويثني عليه وعلى أربابه، وعلى هذا استمر الصحابة – رضي الله عنهم – ، ومن ثم فالزيادة على الأستاذ طغيان وظلم، وهم الأساتذة والقدوة ونحن الأتباع والتلامذة(٥).

---

(١) أحاديث في ذم الكلام وأهله: أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد المقرىء، مرجع سابق، ص٩٥.

(٢) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه، كتاب: الإيمان، باب: اجتناب البدع والجدل، حديث رقم ٤٦.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، حديث رقم ٦٦٦٨، حديث صحيح.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: العلم، باب: هلك الْمُتَنَطِّعُونَ، حديث رقم ٢٦٧٠.

(٥) إحياء علوم الدين: الإمام أبو حامد الغزالي، مرجع سابق، جـ١، ص١٢٨.

وقد ظهرت لهذا الاتجاه كتب تحمل معاني الرفض لهذا العلم مثل (الغنية عن الكلام) لأبي أحمد محمد الخطابي، و(ذم الكلام وأهله) للهروي، و(تحريم النظر في كتب أهل الكلام) لابن قدامة المقدسي، و(صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام) للسيوطي.

ويمكننا أن نرد على أصحاب هذا الاتجاه بأن علم الكلام بالفعل لم يكن له وجود زمن الصحابة - رضى الله عنهم-، لكن الحاجة هي التي ألجأت إليه فيما بعد، ولقد أحسن الإمام أبو حنيفة الرد على من ذم علم الكلام بحجة أن الصحابة والسلف لم يتعلموه، ولم يخوضوا فيه، فقال: " إذا قالوا: أليس يسعك ما وسعهم، فقل: بلى يسعني ما وسعهم لو كنت بمنزلتهم، وليس بحضرتي مثل الذي كان بحضرتهم، وقد ابتلينا بمن يطعن علينا، ويستحل الدماء منا، فلا يسعنا أن لا نعلم من المخطئ منا ومن المصيب، وأن لا نذب عن أنفسنا وحرمنا، فمثل أصحاب النبي - ﷺ- كقوم ليس بحضرتهم من يقاتلهم فلا يتكلفون السلاح، ونحن قد ابتلينا بمن يقاتلنا فلا بد لنا من السلاح "(١).

كما أن الكلام الشائع في زمن الأئمة المجتهدين هو كلام أهل الاعتزال والإرجاء وأمثالهما، وإليه كان يتجه الذم، أما عن الكلام الهادف إلى الحفاظ على العقيدة، والمناضل عن الدين الذي يرد على الشبه، ويرد الجزيئات إلى أصولها من القرآن والسنة، فهو واجب، ولا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم يدفع به شُبه المبتدعة التي تثار حول العقيدة الإسلامية من حين لآخر.

وعليه فإن ما ورد عن السلف الصالح من نصوص تنهى عن الاشتغال بعلم الكلام وتذمه، محمولة على من استخدم هذا العلم على طريقة أهل الأهواء والبدع، وخالف أهل السنة من القدرية والجبرية والمشبهة والمجسمة وغيرهم، الذين غَلَّبوا جانب العقل، فغلوا في التعطيل، وأسرفوا في التأويل، وتركوا الكتاب والسنة، وليس النهي الوارد على الإطلاق.

وخلاصة البحث في هذه المسألة هو ما لخَّصه الإمام الشافعي - رحمه الله- بقوله: " كُلُّ مُتَكَلِّمٍ على الكتاب والسنة فهو الجِدُّ، وما سواه فهو هَذَيَانٌ "(٢)، فكل كلام يخالف الكتاب والسنة فهو هذيان،

(١) العالم والمتعلم: الإمام أبو حنيفة، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، مطبعة الأنوار، القاهرة، ط١، ١٣٦٨هـ، ص٩.

(٢) سير أعلام النبلاء: الإمام شمس الدين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، جـ٨، ص٢٤٢.

وكل كلام يوافقهما فهو الجد، وكلام أهل السنة كما علمنا موافق للكتاب والسنة، فهو الجد بلا شك، ومن ثم يتضح لنا رجحان رأي أصحاب الاتجاه الأول وهو الأخذ بعلم الكلام وتعلمه.

المطلب الثاني

موقف الإمام عبد الحليم محمود من علم الكلام

على هذا النحو الذي ذكرناه في المطلب الأول، نكون قد قدمنا بالفعل للموقف الرافض لعلم الكلام وكذا المؤيد له، غير أننا نرى أنه إلى جانب المناهضين والمؤيدين يوجد فريق ثالث يتوسط بين المعارض المطلق والتأييد المطلق لعلم الكلام، وهم الذين ميزوا بين موضوعات علم الكلام وقسموها إلى موضوعات يجوز الخوض فيها، وأخرى لا يجوز الخوض فيها ويجب حذفها من علم الكلام، ومن هؤلاء الإمام عبد الحليم محمود.

لكن في البداية نود أن نشير إلى أن الإمام عبد الحليم محمود يرى أن علم الكلام ابتعد كثيرًا عن القرآن الكريم واقترب من الفلسفة، وقد صرح بذلك، فقال: " لقد ابتعد علم الكلام على – مر الزمن– عن القرآن مقتربًا من الفلسفة، حتى إنه ليوشك أن يصير فلسفة عقلية بحتة "(١).

ويري أننا جرينا على أن علم الكلام يعد جزءًا من التفكير الفلسفي في الإسلام، وأننا بهذا نجارى الكثيرين من مؤرخي الفلسفة الإسلامية، أمثال: رينان، والشيخ مصطفى عبد الرازق وغيرهما (٢).

وقد أيد الدكتور أبو ريان ما ذهب إليه الإمام عبد الحليم محمود فقال: " وقد امتزج علم الكلام في القرن السادس للهجرة امتزاجًا تامًا بالمنطق والفلسفة، وأشهر من استعمل هذه الطريقة أبو حامد الغزالي، ونجد هذا بصورة واضحة في كتابه (تهافت الفلاسفة)، وسار على منواله الفخر الرازي، وجاء فريق بعد هؤلاء خلطوا بين الكلام والفلسفة خلطا ذريعًا، بحيث يتعذر التمييز في كتاباتهم بين ما هو كلامي وما هو فلسفي، وكتاب (المواقف) لعضد الدين الإيجى يعطينا صورة واضحة لهذا "(٣).

نعم نجد تقاربًا واضحًا بين كلٍّ من الفلاسفة المسلمين والمتكلمين في تأثرهما بالفلسفة اليونانية، ويبدو هذا التقارب واضحًا في المؤلفات الكلامية عند المتأخرين منهم، وفي ذلك يقول ابن خلدون: "

---

(١) الإسلام والعقل: د/ عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٩٨م، ص١١٥.

(٢) التفكير الفلسفي في الإسلام: د/ عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ص٨.

(٣) تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام: محمد على أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٣٠٣.

ولقد اختلطت الطريقتان عند هؤلاء المتأخرين، والتبست مسائل الكلام بمسائل الفلسفة، بحيث لا يتميز أحد الفنين عن الآخر "(١)، ويعد نصير الدين الطوسي من أهم وأشهر من قام بمزج علم الكلام بالفلسفة، وألبس موضوعات علم الكلام ثوب الفلسفة، فصارت في جوهرها موضوعات تقرب في طرحها لأن تكون موضوعات فلسفية بحتة (٢).

وهذا ما ذهب إليه الإمام الشهرستاني، حيث رأى أن شيوخ المعتزلة كرّسوا جهودهم لدراسة كتب الفلاسفة التي شرحت في أيام الخليفة المأمون، فاختلطت مناهج الفلسفة بمناهج علم الكلام(٣).

ونرى أن علم الكلام قد اشتمل في بعض مباحثه وأبوابه على الفلسفة، وهذا شيء طبيعي إذا نظرنا إلى ظروف نشأة هذا الفن، وحول هذا يقول الإمام التفتازاني: " ثم لما نُقلت الفلسفة إلى العربية، وخاض فيها الإسلاميون، حاولوا الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه الشريعة، فخلطوا بالكلام كثيرًا من الفلسفة ليتحققوا مقاصدها فيتمكنوا من إبطالها، وهلم جرّا إلى أن أدرجوا فيه معظم الطبيعيات والإلهيات، وخاضوا في الرياضيات، حتى كاد لا يتميز عن الفلسفة لولا اشتماله على السمعيات، وهذا هو كلام المتأخرين "(٤).

ومن ثم لم يكن اشتغال علماء الكلام واطلاعهم على مباحث الفلسفة من باب الانصراف عن الكتاب والسنة أو الإعراض عنهما، ولكنه من باب استعمال الأدلة العقلية (الفلسفة والمنطق) في إثبات العقائد، والاحتجاج على المنكرين من أهل الفلسفة أنفسهم.

وأما عن موقف الإمام عبد الحليم محمود من علم الكلام فهو يتلخص – من وجهة نظري – في موقفين:

الأول: يتبنى من خلاله تحريم علم الكلام، وذم المشتغلين به، واعتباره بدعة، معضدًا ذلك بنقولات

---

(١) مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون، دار ابن خلدون، الإسكندرية، ص٣٢٧.

(٢) الفيلسوف نصير الدين الطوسي: عبد الأمير الأعسم، دار الأندلس، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م، ص١٥٠.

(٣) الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ، جـ١، ص٢٠.

(٤) شرح العقائد النسفية: سعد الدين التفتازني، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، ص١٨.

متعددة من أئمة السلف.

والموقف الثاني: يتلخص في أمرين: **الأول**: يسلك من خلاله مسلك علماء الكلام في أثناء عرضه لبعض مسائل العقيدة، كما في مسألة وجود الله – تعالى–، ومسألة الصفات، ومسألة القدر، **والأمر الثاني**: هو ما ينبغي أن يكون عليه علم الكلام، وهذا ما سنتحدث عنه – بمشيئة الله تعالى– في المطلبين القادمين.

وأما عن الموقف الأول: فهو يتضح من خلال اتفاقه مع كلا الإمامين الغزالي والسيوطي في موقفهما من علم الكلام، **فالإمام السيوطي** عند استعراضه للعديد من البدع، نجده قد عدّ علم الكلام من البدع المذمومة، فقال: " ومن ذلك (أي من البدع) علم الكلام والجدل، وهو بدعة ومحدث، لم يكن في السلف الماضين "[1].

ومن ثم ذهب إلى تحريمه معللا ذلك بوجود أقوال الفلاسفة فيه، فقال: " علم أصول الدين، بدأتُ به لأنه أشرف العلوم مطلقا؛ لأنه يبحث عما تتوقف صحة الإيمان عليه، ولست أعني به علم الكلام، وهو ما تُنصب فيه الأدلة العقلية وتُنقل فيه أقوال الفلاسفة، فذاك حرام بإجماع السلف "[2].

كما ألف الإمام السيوطي في ذلك كتابًا سماه (صون المنطق والكلام عن فنى المنطق والكلام) انتصر فيه للقول بتحريم تعلم علم الكلام، وذم المشتغلين به، مستشهدًا على ما ذهب إليه بأقوال الأئمة الأربعة: أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد وغيرهم من العلماء.

وقد نقل الإمام عبد الحليم محمود نصوصًا من هذا الكتاب تفيد تحريم علم الكلام، وذم المشتغلين به، ثم قال معلقًا على هذه النصوص وعلى رأي الإمام السيوطي: " ونحن نتفق مع الإمام السيوطي اتفاقًا كاملا في وجهة نظره في هذا الكتاب "[3].

---

(١) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع: جلال الدين السيوطي، تحقيق: ذيب بن ناصر القحطاني، مطابع الرشيد، ١٤٠٩هـ، ص١٩٠.

(٢) إتمام الدراية لقراء النُقاية: الإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق: إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ص٢.

(٣) الإسلام والعقل: د/ عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص١٦٥.

وأما عن الإمام الغزالي، فقد عدّه الإمام عبد الحليم محمود أيضًا من الرافضين المعارضين لعلم الكلام، فقال: " والآن نذكر رأى الإمام الغزالي في صورته الحاسمة، فيقول: وأما منفعته فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه وهيهات، فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف، ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف، وهذا إذا سمعته من محدّث أو حشوي ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا، فاسمع هذا ممن خبر الكلام، ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين، وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم أخر تناسب نوع الكلام، وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود "(١).

ويرى الإمام عبد الحليم محمود أن المتكلم – على حد تعبير الإمام الغزالي – لا يزيد على العامي إلا في صنعة الكلام، ولأجله سميت صناعته كلامًا، وإذا تساءلت عن إيمان المتكلمين، فإن إيمانهم ممزوج بنوع استدلال، ودرجته قريبة من درجة إيمان العوام (٢).

ومن وجهة نظره أن علم الكلام ابتعد عن النهج القرآني السليم، وأصبح مثيرًا لكثير من المشاكل التي تفرق المسلمين، وتجعلهم فرقًا وأشياعًا متنافرين متخاصمين، قال – تعالى – (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (الأنعام: آية ١٥٩)، ومن ثم فهو يرى بأن ما ذهب إليه الإمام الغزالي في علم الكلام يتفق حقيقة مع الوضع الإسلامي الصحيح، كما هو اتجاه الصوفية على وجه العموم، وهو الرأي الصحيح (٣).

ويرى بأن" علم الكلام الذي كان على عهد الإمام الغزالي، هو علم الكلام الذي ندرسه الآن، فإذا تحدث الإمام الغزالي عنه، فليس ذلك الحديث مختصًا بالفترة التي عاش فيها الإمام الغزالي، وإنما

---

(١) إحياء علوم الدين: الإمام أبو حامد الغزالي، مرجع سابق، جـ١، ص١٣١، والإسلام والعقل: د/ عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص١٦٤.

(٢) إحياء علوم الدين: الإمام أبو حامد الغزالي، مرجع سابق، جـ٣، ص٢١، والإسلام والعقل: د/ عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص١٦٤.

(٣) الإسلام والعقل: د/ عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص١١٤، ١٦٤.

هو يصل إلى العصر الحاضر، وإلى هذا النهج من الدراسة الموجودة في كتب علم الكلام المتداولة الآن، وإذا تحدث عنه الإمام الغزالي فإنما يتحدث حديث الواثق الخبير، فقد حصّل وطالع كتب المحققين فيه، وصنف فيه ما أراد الله أن يصنف، ثم كان له في النهاية رأيه الشخصي، وهذا الرأي الشخصي رأي جريء حاسم يتفق حقيقة مع الوضع الإسلامي الصحيح "(١).

كما يتفق مع ما ذهب إليه - كما ذكر الإمام الغزالي- الأئمة الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف من تحريمٍ لعلم الكلام (٢).

وبعد أن ذكر الإمام عبد الحليم محمود رأي الإمام الغزالي، وما ذكره من نُقُول عن الأئمة، والتي يستفاد منها تحريم علم الكلام وذم المشتغلين به، يعلن رأيه بكل صراحة فيقول: " إننا مع هؤلاء ومهما قيل من آراء أخرى، فإننا نكتفي برأي هؤلاء، ونعتز بأن نكون في صف الشافعي، ومالك، وأحمد بن حنبل، والثوري، وجميع المحدثين "(٣).

وأما عن الحجة التي تمسك بها هؤلاء في رفضهم لعلم الكلام، والتي ذكرها الإمام عبد الحليم محمود فقال: " واحتجوا بأن الاشتغال بعلم الكلام لو كان من الدين لأمر به الرسول ﷺ، ولكنه نهاهم عن الكلام في القدر وقال: أمسكوا عن القدر، وعلى هذا استمر الصحابة رضي الله عنهم، فالزيادة على الأستاذ طغيان وظلم، وهم الأستاذون والقدوة، ونحن الأتباع والتلامذة "(٤)، وهذا يعنى أن الصحابة والتابعين لم يشتغلوا بهذا العلم، ولو كان علم الكلام مباحًا لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع.

ولعل أفضل رد على هذه الحجة هو ما ذكره شيخ الإسلام العز بن عبد السلام حينما قال: " وأما الافتراء على الصحابة والتابعين بأنهم سكتوا عن ذلك، فجهالة عظيمة؛ لأن سكوتهم عن ذلك كان

---

(١) المرجع السابق، ص١٦٣.

(٢) إحياء علوم الدين: الإمام أبو حامد الغزالي، مرجع سابق، جـ١، ص١٢٧.

(٣) الإسلام والعقل: د/ عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص١٧٦.

(٤) المرجع السابق، ص١٧٥.

قبل ظهور البدعة، فسكتوا حيث يجوز لهم السكوت، إلى أن ظهرت البدعة فتكلموا فيها، فالبدع يجوز السكوت عنها ما دامت خامدة ساكنة، فإن ظهرت وجب الابتدار إلى إنكارها وإبطالها، وتبيين الحق في ذلك نصحًا لدين الله، وعملا بكتابه إذ يقول فيه (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)(آل عمران: آية ١٠٤)، ومن نسبهم إلى السكوت مع ظهور البدع عن تعيين الحق من الباطل، فقد فسقهم ونسبهم إلى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع أن المنقول عنهم بخلاف قوله، فإنهم تكلموا على البدع وعابوها، وميزوا الحق من الباطل ونصوا عليه.... فالتكلم في حال الشبه سنة أول من عمل بها رسول الله ﷺ، ثم جرى على ذلك الصحابة والتابعون وعلماء المسلمين إلى يومنا هذا "(١).

والسؤال الذي نود أن نطرحه هنا هو: هل كان الإمام الغزالي رافضًا لعلم الكلام، كما ذكر الإمام عبد الحليم محمود، أو من المؤيدين لهذا العلم؟ وهل حرّم هذا العلم بالفعل هؤلاء الأئمة؟

وللإجابة على هذا نقول: إن الإمام الغزالي درس علم الكلام دراسة جادة، فحصله وعقله، وطالع كتب المحققين منهم، وصنف فيه كتبًا، يقول رحمه الله: " ثم إني ابتدأت بعلم الكلام، فحصَّلته، وعقلته، وطالعت كتب المحققين منهم، وصنفت فيه ما أردت أن أصنف "(٢).

وقد أشار إلى أهمية علم الكلام عندما عقد في كتابه (الاقتصاد في الاعتقاد) تمهيدًا بعنوان (بيان أن الخوض في هذا العلم مهم في الدين) وبدأه بقوله: " اعلم أن صرف الهمة إلى ما ليس بمهم، وتضييع الزمان بما عنه بد هو غاية الضلال ونهاية الخسران... وهذا العلم مهم لا محيص عنه لعاقل "(٣).

كما أكد على تلك الأهمية والمنزلة لعلم الكلام، بل أعلى من شأنها، حين جعله رئيسًا للعلوم، ومنه تستمد جميع العلوم مبادئها، فقال: " فالعلم الكلي من العلوم الدينية هو الكلام، وسائر العلوم

(١) دلائل التوحيد: الشيخ محمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م، ص٨٨.

(٢) المنقذ من الضلال: الإمام أبو حامد الغزالي، تحقيق: محمد محمد جابر، المكتبة الثقافية، بيروت، ص١٤.

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد: الإمام أبو حامد الغزالي، تحقيق: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ،٢٠٠٤م، ص١٢.

من الفقه وأُصوله والحديث والتفسير علوم جزئية.... والأدلة هي الكتاب والسنة والإجماع فقط وقول الرسـول - ﷺ- إنما يثبت صـدقه وكونه حجة في علم الكلام، فإذًا الكلام هو المُتَكَفِّلُ بإثبات مبادئ العلوم الدينية كلها، فهي جُزئية بالإضـافة إلى الكلام، فالكلام هو العلم الأعلى في الرتبة إذ منه النزول إلى هذه الجزئيات "(١).

ومع هذا لم يجد الإمام الغزالي في علم الكلام ما يشـفي عليله، ويروي غليله، فلم يقتنع به طريقًا نهائيًا للطمأنينة والراحة النفسـية؛ إذ كان يبحث عن طريق يضـع له حدًا لرحلته الشـاقة الطويلة، ولم يجد هذا في علم الكلام، وقد صرح بذلك فقال: " فصادفته علمًا وافيًا بمقصوده، غير واف بمقصودي، وإنما مقصوده حفظ عقيـدة أهل السنة، وحراستها عـن تشويش أهل البدعـة "(٢).

فمقصـود علم الكلام - كما يرى الإمام الغزالي- هو حفظ العقيدة الإسـلامية والدفاع عنها ضـد أي شكوك يضعها أعداء الإسلام حول مبادئ وأصول الدين، لكن إذا كان هذا هو مقصود علم الكلام، فكيف يختلف مقصود الإمام الغزالي عنه؟

نقول: إن الإمام الغزالي لا يختلف مقصـوده عن مقصـود علم الكلام، بل هو غير كافٍ به، إذ يريد الإمام الغزالي طريقة لنفسـه غير ما أرادها المتكلمون، فهو يطلب اليقين في إدراك قواعد الدين إدراكًا تثبته الضـرورة العقلية، التي ينكشـف معها المعلوم انكشـافًا لا يبقى معه ريب، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم، وهذا المطلب هو الذي دفع الإمام الغزالي إلى أن يقول عن علم الكلام: " فلم يكن الكلام في حقي كافيًا، ولا لدائي الذي كنت أشكوه شافيًا "(٣).

وبهذا يتضـح لنا أن الإمام الغزالي كان موضـوعيًا مع نفسـه، فمع أنه ألف في علم الكلام، إلا أنه

---

(١) المستصفى: الإمام أبو حامد الغزالي، تحقيق: محمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، ص٦،٧.

(٢) المنقذ من الضلال: الإمام أبو حامد الغزالي، مرجع سابق، ص١٤.

(٣) المرجع السابق، ص١٥، وانظر: مفتاح شخصية الغزالي: الشيخ محمد صادق عرجون، بحث منشور في المهرجان الذي أقامه المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بمدينة دمشق في الفترة من ١١ إلى ١٥ من شوال ١٣٨٠هـ، ٣١ من مارس ١٩٦١م، ص٨٥٥.

اعترف بأنه غير وافٍ بمطلوبه الذي يبحث عنه، وفي الوقت نفسه لم ينكر على غيره ممن استفاد به، إذ قد ينتفع بالدواء مريض ويتضرر به آخر.

وهذا ما صرح به، فقال: " ولا أبعدُ أن يكون قد حصل ذلك لغيري، بل لست أشك في حصول ذلك لطائفة، ولكن حصولا مشوبًا بالتقليد في بعض الأمور التي ليست من الأوليات، والغرض الآن: حكاية حالي، لا الإنكار على من استشفى به، فإن أدوية الشفاء تختلف باختلاف الداء، وكم من دواء ينتفع به مريض ويستضر به آخر "(١).

ومن ثم فإن الإمام الغزالي لم ينكر البحث في علم الكلام - كما ذهب الإمام عبد الحليم محمود- على الإطلاق، بل جعل البحث فيه وتعلمه من فروض الكفاية، فقال: " اعلم أن التبحر في هذا العلم والاشتغال بمجامعه ليس من فروض الأعيان وهو من فروض الكفايات "(٢).

وذلك (إذا حدثت البدعة الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة، ونبغت جماعة لفَّقوا لها شبهًا، ورتبوا فيها كلامًا مؤلفًا، فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة مأذونًا فيه، بل صار من فروض الكفايات، وهو القدر الذي يقابل به المبتدع)(٣).

ومع أنه أنكر على عوام الناس الاشتغال بعلم الكلام في كثير من كتبه، إلا أنه أجازه للخواص منهم لكن بشروط أهمها: أن يكون كامل العقل، قوي الإيمان، وفي قلبه نور من نور الإيمان الذي يوصله إلى اليقين، وقد وقعت له شبهة لا يمكن أن تزول إلا بالدليل العقلي.

مما سبق يتضح لنا أن الإمام الغزالي لم يتخل عن علم الكلام لكونه مذمومًا، بل لأنه لم يف بمقصوده وهو البحث عن اليقين، ولم يشف حالته النفسية، فهو في آخر عمره ألف رسالة في هذا العلم، مشيرًا إلى حقيقة علمية مهمة، وهي كون هذا العلم للخواص من الناس، وليس مناسبًا للعوام، ولو كان مذمومًا - كما يُدّعى - لما فرّق بين هذين الصنفين، وهذا واضح من خلال رسالته (إلجام

(١) المنقذ من الضلال: الإمام أبو حامد الغزالي، مرجع سابق، ص١٥.

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد: الإمام أبو حامد الغزالي، مرجع سابق، ص١٦.

(٣) إحياء علوم الدين: الإمام أبو حامد الغزالي، مرجع سابق، جـ١، ص ٣٦.

العوام عن علم الكلام).

وأما بالنسبة لموقف الأئمة (أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل) من علم الكلام، فقد رأى البعض أن هؤلاء الأئمة رفضوا علم الكلام وذموا المشتغلين به، وقد أشار الإمام ابن حجر إلى هذا، فقال: " واشتد إنكار السلف لذلك كأبي حنيفة وأبي يوسف والشافعي، وكلامهم في ذم أهل الكلام مشهور، وسببه أنهم تكلموا فيما سكت عنه النبي - ﷺ - وأصحابه.... فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف واجتنب ما أحدثه الخلف "(١).

بينما على النقيض من ذلك، نجد أن بعض الباحثين الآخرين قد رأوا أن هؤلاء الأئمة قد اهتموا بعلم الكلام وكانت لهم مؤلفات وآراء كثيرة فيه.

فقد روي عن الإمام أبي حنيفة ذمه لعلم الكلام، ومع ذلك فقد نسب إليه مصنفات مهمة في علم الكلام، حيث نسب إليه كتاب (الفقه الأكبر)، وكتاب (العالم والمتعلم)، وكتاب (الرد على القدرية)، وإليه يرجع تسمية علم الكلام بالفقه الأكبر، وهو يراه أصل الفقه الذي يطلق عليه (الفقه الأصغر)، ويجوز الاشتغال به، فيقول: " الفقه في الدين أفضل من الفقه في العلم، لأن الفقه في الدين أصل والفقه في العلم فرع، وفضل الأصل على الفرع معلوم، قال - تعالى- (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(الذاريات: آية ٥٦) أي يوحدون بالتعلم المبني على الدين، فصار الدين هو التوحيد، والعلم هو الديانة يعني الشرائع، وهو يعد بعد التوحيد ثم الدين عقد على الصواب، والديانة سيرة على الصواب "(٢)، ولهذا سمى الإمام أبو حنيفة علم الكلام بالفقه الأكبر في مقابل الفقه الأصغر.

كما روي عن الإمام مالك بن أنس كراهيته للخوض في علم الكلام، واعتبر المتكلمين أهل بدعة، إلا أن ذلك لم يمنع من أن يكون له مذهب كلامي استطاع من خلاله محاربة التشبيه والتجسيم

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: الإمام ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، جـ١٣، ص٢٥٣.

(٢) شرح الفقه الأكبر: الإمام أبو منصور الماتريدي، تحقيق: عبد الله الأنصاري، طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٢١هـ، ص١٠.

بوجه عام، ولسنا بهذا نريد أن نثبت أن للإمام مذهبًا كلاميًا يمكن به أن يدرج في تعداد المتكلمين، وإنما غرضنا القول بأن له آراء، ووجهات نظر كلامية.

والإمام الشافعي يعد المتكلم الثاني بعد الإمام أبي حنيفة، فبرغم أنه روي الكثير من الآثار التي استدل بها البعض على كراهيته لعلم الكلام، إلا أننا نستطيع أن نؤكد أن كراهيته هذه لم تكن موجهة إلى علم الكلام في ذاته، وإنما كانت موجهة إلى أهل الأهواء والبدع، المنحرفين عن عقيدة أهل السنة.

فقد درس الإمام الشافعي كلام المتكلمين وأجاده، فهو يقول عن نفسه: " لقد دخلت فيه (أي في علم الكلام) حتى بلغت مبلغا عظيما "(١)، فلا يتصور أن يبلغ في علم هذا المبلغ وينكره هذا الإنكار، كما أن له كلامًا كثيرًا في أبواب التوحيد المختلفة، وقد نسب إليه الإمام البغدادي كتابين في علم الكلام: أحدهما تصحيح النبوة والرد على البراهمة، والثاني: في الرد على أهل الأهواء، وهذا يدل علي أن للإمام الشافعي آراءً عظيمة لا يستهان بها في مجال علم الكلام (٢).

وأما الإمام أحمد بن حنبل، فلقد نسب إليه كراهيته لعلم الكلام، وأغلب الظن أن هذه الكراهية لعلم الكلام ليست لذاته، وإنما لعلم الكلام القائم على الجدل، والخوض في موضوعات لم يخض فيها السلف الصالح، بدليل أنه – رحمه الله – خاض في مسائل كلامية لها خطرها، ونسب إليه رسالة في الرد على الزنادقة والجهمية (٣).

وبناءً علي ما تقدم نصل إلى حقيقة مهمة مؤداها: أن الأئمة الأربعة – رضي الله عنهم – مع غلبة الفقه والحديث عليهم، إلا أنه لم تخل مذاهبهم من آراءٍ كلامية، ومن الخوض في علم الكلام، فقد اهتموا به وبمسائله، وكانت لهم آراء كلامية جديرة بالاعتبار.

قال العلامة بدر الدين الزركشي: " إن الأئمة انتدبوا للرد على أهل البدع والضلال، وقد صنَّف

(١) مناقب الإمام الشافعي: الإمام فخر الدين الرازي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، ص١٠٥.

(٢) أصول الدين: الإمام أبو منصور عبد القاهر البغدادي، مطبعة الدولة، استانبول، ط١، ١٣٤٦هـ، ١٩٢٨م، ص٣٠٨.

(٣) أصالة علم الكلام: محمد صالح السيد، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٤٠-٤٣.

الشــافعي كتاب (القياس) رد فيه على من قال بقِدَم العالم من الملحدين، وكتاب (الرد على البراهمة) وغير ذلك، ولأبي حنيفة كتاب (الفقه الأكبر)، وكتاب (العالم والمتعلّم) رد فيه على المخالفين، وكذلك مالك سئل عن مسائل هذا العلم فأجاب عنها بالطريق القويم، وكذلك الإمام أحمد "(١).

وقد ذهب العلماء إلى أن مجمل نهى علماء الإســلام العظام عن الخوض في علم الكلام إنما هو في حق من يخشى عليه من الوقوع في الشبه والضلال (٢)، وفي هذا السياق تحمل محاولة الإمام الغزالي في كتابه (إلجام العوام عن علم الكلام).

ومع هذا نرى أن هذا الذم الشديد لعلم الكلام من بعض علماء السلف له ما يبرره في زمانهم، وهو سوء استخدام المتكلمين للجدل الذي أفضى إلى ظهور نزعة التكفير والفتنة والفرقة، كما أن هذا الذم يمكن أن يوجه إلى القائمين بعلم الكلام من أهل البدع وأرباب الزيغ، وفي هذا الصـــدد يقول العلامة سعد الدين التفتازاني: " وما نقل عن بعض السلف من الطعن فيه، والمنع عنه، فإنما هو للمتعصب في الدين، والقاصر في تحصيل اليقين، والقاصد إفساد عقائد المسلمين، والخائض فيما لا يفتقر إليه من غوامض المتفلسفين، وإلا فكيف يتصور المنع عما هو أصل الواجبات، وأساس المشروعات "(٣).

ومن ثم نســتطيع أن تقرر بأن موقف الإمام عبد الحليم محمود من علم الكلام كموقف الأئمة ﷺ، فلم يرفض الإمام – ﷺ– علم الكلام كليًا، وإنما جاء رفضــه لعلم الكلام القائم على الجدل العقيم، والذي أدى إلى ظهور نزعة التكفير بين بعض أصــحابه، ووقوع الفتنة والفرقة بينهم، ثم إن كتب هذا العلم وموضوعاته – من وجهة نظره– لا صلة لها بالأبحاث الحديثة.

وقد أشـــار إلى هذا، فقال: " إذا نظرنا في كتب علم الكلام نجد أنها جدال لا ينتهى بين الذين

---

(١) تَشْنِيفُ المَسَامِعِ بِجَمْعِ الجَوَامِعِ لتاج الدين السُّبكي: الإمام بدر الدين الزركشي، تحقيق: سيد عبد العزيز، عبد الله ربيع، مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، جـ٤، ص٨٤٤.

(٢) المُسامَرة في شرح المُسَايرة في علم الكلام: كمال الدين بن الهمام الحنفي، ومعه حاشية على المسايرة، لزين الدين القاسم بن قطلوبغا، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م، ص١٢.

(٣) شرح العقائد النسفية: سعد الدين التفتازاني: مرجع سابق، ص١٩.

يبحثون فيه، بالزيغ وابتغاء الفتنة، والجدال فيها يبدأ ويعاد ولا ينتهى، ثم هي تصور - على الخصوص- المستوى الثقافي للعصور الوسطى، ولا تمت بصلة إلى الأبحاث الحديثة، ومن الطبيعي أن تكون كذلك؛ لأنها ألفت في العصور الماضية، وما ألف منها حديثا، ألف على نمطها اتباعًا للآباء والأجداد، وبغضًا للخروج عن المألوف "[١].

لكننا نود أن ننوه إلى أن إنكار الجدل في الدين ليس على إطلاقه؛ بل الجدال منه المذموم، ومنه المقبول، فالمقبول منه ما كان غرضه الوصول إلى الحق ودعوة الخلق إليه، والمذموم منه هو الجدال الباطل الذي غرضه قصد دفع كلام الخصم من غير إظهار الحجة، أو ما كان القصد منه المغالطة وطلب الخصومة واللجج وحب الظهور [٢].

كما أننا نتفق مع الإمام - رحمه الله- في التفرقة بين علم الكلام في منهجه الذي يجعل الكلام في وجود الله - وتعالى- وصفاته، والقدر، والبعث، وغيرها من الموضوعات الأخرى، مادة جدلية تقود إلى الشك والشبهات أكثر من اليقين، فهذا مرفوض، وبين الكلام الذي يجعل من منهجه ترسيخًا لقيمة التوحيد كما أنزله الله - تعالى- في الآيات المحكمات، فما أحوجنا إليه.

فيرى الإمام عبد الحليم محمود أن ديننا يتعامل مع العقل في مثل هذه الموضوعات وغيرها، ليهديه إلى الطريق المستقيم، ولينفي عنه الجهل، والتردد، والشك؛ إذ لو بحث العقل فيها مستقلا بنفسه، فلن يصل فيها إلى نتائج يتفق عليها الجميع، وهذا يعنى: أنه لو ترك الناس وعقولهم في هذه الموضوعات فإنهم يختلفون ويتفرقون فرقًا عديدة، ويتنازعون، ولا ينتهي الأمر بهم إلى الوحدة والانسجام، ولا إلى الهدوء والطمأنينة [٣].

كذلك جاء ذم الإمام لعلم الكلام أيضًا بسبب تطرقه لبعض الموضوعات من أمثال: القدر،

---

(١) أوربا والإسلام: د عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٩٣م، ص٤٥.

(٢) الغُنية في الكلام: أبو القاسم سلمان بن ناصر النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد الهادي، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، ص١٠٠.

(٣) الإسلام والعقل: د/ عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص١٨.

والصفات، والمتشابه، والتي أدى الخوض فيها إلى وقوع النزاع، والشقاق، والاختلاف، والفرقة بين أصحابه، والله – تعالى– يقول (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) (الأنفال: آية ٤٦)، ومن ثم يرى حذف مثل هذه الموضوعات من علم الكلام، حتى نبتعد به عن النزاع، والاختلاف، وإثارة الشبهات.

وأخيرًا فإن هذا الموقف للإمام عبد الحليم محمود لا يمنع من أن يكون رائدًا من رواد علم الكلام؛ إذ إن رفضه لعلم الكلام – كما بينا– يضعه في مقدمة علماء الكلام؛ لأن نقد علم الكلام وبيان ما فيه لا يتم إلا بإتقان هذا العلم، وهذا ما بينه الإمام الغزالي حينما قال: " إنه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم، حتى يساوي أعلمهم في ذلك العلم، ثم يزيد عليه، ويجاوز درجته، فيطلع على ما يطلع صاحب العلم من غوره وغائله "[1].

---

(١) المنقذ من الضلال: الإمام أبو حامد الغزالي، مرجع سابق، ص١٧.

المطلب الثالث

أهم المسائل الكلامية التي تناولها الإمام عبد الحليم محمود

أولا: مسألة وجود الله تعالى:

تُعد مسألة وجود الله – تعالى– مسألة في غاية الأهمية في البحث العقدي؛ إذ هي أساس مسائل العقيدة كلها، وعنها تتفرع بقية الأمور الاعتقادية التي يجب إنهاض العقل للتأمل فيها، ثم الإيمان بها، ولا يتصور إمكانية تحصيل هذه العقائد: كتوحيد الله – تعالى–، أو الإقرار للنبي – ﷺ– بالنبوة، أو الإيمان بالملائكة، أو الاعتراف بالقرآن كتابًا من عند الله، أو الاعتقاد باليوم الآخر وما فيه، دون الإقرار بوجود الله – تعالى– ابتداءً.

ومع اتفاق علماء المسلمين – سلفهم وخلفهم– في أن كل مسائل الاعتقاد مبناها الإقرارُ بوجود الله – ﷻ–، إلا أن ثمة خلافًا وقع بينهم في الوسيلة الموصلة إلى هذه النتيجة، هل هي فطرية أم نظرية؟

ففريق من العلماء يرى أن وجود الله – تعالى– أمر ضروري لا يحتاج إلى نظر واستدلال؛ إذ هو مركوز في الفطر السليمة والطبائع المستقيمة، فالإيمان بوجود الله – تعالى– حقيقة مغروسة في الفطرة البشرية ليست بحاجة إلى البرهنة والدلالة عليها؛ نظرًا لوضوحها وجلائها عند كل إنسان، حتى قال عنها الفيلسوف الفرنسي ديكارت: " لا يبقى ما يقال بعد ذلك إلا أن هذه الفكرة ولدت ووجدت معي منذ خلقت، كما ولدت الفكرة التي لديّ عن نفسي، والحق أنه لا ينبغي أن نعجب من أن الله حين خلقني غرس فيّ هذه الفكرة لكي تكون علامة للصانع مطبوعة على صنعته "(١).

وإن دلالة الفطرة على وجود الله – تعالى– أقوى من أي دليل آخر، علميًا كان أو عقليًا، فالفطرة هي الأساس التي تبنى عليه المعارف الإنسانية جميعها، وعلى رأسها معرفة الخالق سبحانه، قال – تعالى– (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)(الروم: آية٣٠).

وهذه الفطرة هي الميثاق الذي أخذه الله – تعالى– على بني آدم قبل أن يخلقوا، وجعل منه حجة قائمة عليهم، كما قال – تعالى– (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى

(١) التأملات في الفلسفة الأولى: رينيه ديكارت، ترجمة: عثمان أمين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص١٦٣.

أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ)(الأعراف: آية ١٧٢-١٧٣).

وهي قوة داخلية، وحقيقة قائمة في النفس الإنسانية لو تُركت على أصلها بدون معوقات ومؤثرات خارجية، فإنها تدفع الإنسان إلى الإيمان بوجود الله - ﷻ-، والاستسلام له سبحانه، وقد أشار إلى هذا الرسول -ﷺ -، فقال (كل مولود يُولَد على الفطرة، فأبواه يُهوِّدانه، أو يُنصِّرانه، أو يُمجِّسانه؛ كمَثَل البهيمة تُنتَجُ البهيمةَ، هل ترى فيها جدعاءَ؟) [(١)].

ويرى هذا الفريق أن مهمة الرسل كانت لتوحيد الله، لا لإثبات وجوده، يقول الإمام الشعراني: " لم يأت الأنبياء والرسل ليعلمونا بوجود الصانع، وإنما أتونا ليدعونا إلى التوحيد، قال - تعالى- (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) (محمد: آية ١٩)، والخلق إنما أشركوا بعد الاعتراف بالموجود لما اعتقدوه من الشركاء لله - تعالى-، أو لنفي واجب من صفاته، أو لإثبات مستحيل منها، أو لإنكارهم النبوات"[(٢)].

ويعترض هذا الفريق على من يحاول الاستدلال على وجود الله قائلين: " كيف تكون الكائنات مظهرة له، وهو الذي أظهرها، أو معرفة له، وهو الذي عرفها، وكيف يحتاج إلى الدليل من نصب الدليل؟ "[(٣)].

ويناجي أحدهم ربه قائلا: " إلهي، كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟ أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟ "[(٤)].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، حديث رقم ١٣١٩.

(٢) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر: الإمام عبد الوهاب الشعراني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، جـ١، ص٨١.

(٣) المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي: د/ عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ص٩٥.

(٤) الإسلام والعقل: د/ عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص١٣٧.

يقول الإمام الشهرستاني: " ما عددت هذه المسألة (الاستدلال على وجود الله) من النظريات التي يقام عليها برهان، فإن الفطرة السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها، وبديهة فكرتها على صانع حكيم عالم قدير، (أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)(إبراهيم: آية ١٠)، (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ)(الزخرف: آية ٩)، وإن هم غفلوا عن هذه الفطرة في حال السراء، فلا شك أنهم يلوذون إليه في حال الضراء، ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع، وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك "[١].

وإلى هذا الرأي ذهب الإمام عبد الحليم محمود، حيث رأى أن مسألة وجود الله – تعالى – بدهية فطرية؛ إذ وجوده – سبحانه – أوضح وأظهر من أن يحتاج إلى دليل، وأن تقديس الله – تعالى – ينأى بالمؤمن عن أن يتخيل – مجرد تخيل – أن الله – تعالى – يحتاج إلى إثبات وجوده.

ويوضح هذا ـ رحمه الله ـ، فيقول: " والواقع أنه حين بدأ الرسول –ﷺ– الجهر بدعوته، بعد نحو ثلاث سنوات من الإسرار بها، فإنه – صلوات الله وسلامه عليه – لم يبدأ بإثبات وجود الله، وإنما بدأ بالبرهنة على صدقه هو، وتحدى العرب بصدقه.

ومضى القرن الأول كله ولم يحاول إنسان قط أن يتحدث حديثًا عابرًا أو مستفيضًا عن إثبات وجود الله – تعالى –، ومضى أكثر القرن الثاني والمسألة – فيما يتعلق بوجود الله – لا توضع موضع البحث، ذلك أن وجود الله إنما هو أمر بدهي، لا ينبغي أن يتحدث فيه المؤمنون نفيًا أو إثباتًا، ولا سلبًا أو إيجابًا، إن وجود الله – تعالى – من القضايا المسلمة التي لا توضع في الأوساط الدينية موضع البحث؛ لأنها فطرية "[٢].

ويرى أن القرآن الكريم قد تحدث عن بداهة هذه المسألة، فيقول: " والقرآن الكريم يتحدث عن بداهة وجود الله حتى عند ذوي العقائد المنحرفة، يقول – سبحانه – (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

---

(١) نهاية الإقدام في علم الكلام: الإمام الشهرستاني، تحقيق: الفريد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، ص١١٩.

(٢) المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي: د/ عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص٩٧.

وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ)(لقمان: آية ٢٥)، إنهم يقولون: إن الخالق هو الله، مع أنهم مشركون أو منحرفون بوجه من الوجوه في إيمانهم بالله – تعالى–، وما نزلت الأديان قط لإثبات وجود الله، وإنما نزلت لتصحيح الاعتقاد في الله أو لتصحيح طريق التوحيد "(١).

كما" أن الدين الإسلامي لم يجئ لإثبات وجود الله، وإنما جاء لتوحيد الله، وإذا تصفحت القرآن، أو التوراة حتى على وضعها الحالي، أو الإنجيل حتى في وضعه الراهن: فإنك لا تجد أن مسألة وجود الله قد اتخذت في أي سفر منها مكانة تجعلها هدفًا من الأهداف الدينية، أو احتلت مكانًا يشعر بأنها من مقاصد الرسالة السماوية "(٢).

وأما الآيات الكثيرة والتي يظن البعض أنها نزلت لإثبات الوجود لله – تعالى–، فيرى الإمام عبد الحليم محمود أنها ليست من ذلك في قليل ولا كثير؛ إذ إنها تبين عظمة الله وجلاله وكبرياءه وهيمنته الكاملة على العالم، ما عظم من أمره ودق منه، لا تفوت هيمنته صغيرة ولا كبيرة، ولا يخرج عن سلطانه ما دق وما جل، وأن هذه الآيات قد جاءت على هذا الوضع لتقود الإنسان إلى إسلام وجهه لله – تعالى– إسلامًا كاملا (٣).

ومن ثم فإن الإمام عبد الحليم محمود يرى أن كل من يحاول وضع هذه المسألة موضع البحث، فقد عدل عن توجيه الله – تعالى– إلى توجيه البشر، وابتغى غير الإسلام موجهًا، فضلا عن ضعف إيمانه، بل إن من أهم أخطار البحث فيها هو التمهيد لأصحاب الفطر المنحرفة من حيث وقوعهم في الإلحاد وكفرهم بالله تعالى.

يقول – رحمه الله–: " إن وضع مسألة وجود الله موضع البحث هو الذي هيّأ لذوي الفطر المنحرفة أن يلحدوا في دين الله، وأن يكفروا به – سبحانه–، هذه نتيجة، أما النتيجة الثانية فإنها ضعف الإيمان، إذا كنت تضع الوجود الإلهي – مجرد الوجود– موضع بحث فمعنى ذلك: أنك وضعته موضع شك

(١) المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي: د/ عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص٩٨.

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) الإسلام والعقل: د/ عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص١٣١.

وريبة، ولو لم يكن كذلك لما وضـع موضـع البحث "[١]، وبناء على ما سـبق فإن الشـيخ عبد الحليم محمود يذهب إلى وجوب انتزاع هذه المسألة من علم الكلام.

وذهـب فريق آخر من العلمـاء إلى أن وجود الله - تعـالى- أمر نظري يحتـاج إلى البرهنـة والاسـتدلال، ويحتجون على الفريق الأول بأنه لو كان وجوده - تعالى- أمرًا ضـروريًا ما تنوزع ولا اختلف فيه؛ إذ الضروريات لا يختلف عليها.

كما أن الإنسان بعد ميلاده يتأثر بعوامل كثيرة مثل: البيئة الفاسدة، والتنشئة الخاطئة، والمصالح المادية، والميول والأهواء، ودور إبليس وأعوانه، فهذه المؤثرات تلعب دورًا خطيرًا في انحراف الفطرة الإنسـانية، ومن ثم احتاج الناس إلى التنبيه والتذكير، كذلك وجود الله - تعالى- أجل من أن يحده شـيء، أو يحصـره تصـور، بل إن الوضـوح الظاهر، أو الظهور الواضـح، قد يكون سـببًا في الخفاء والالتباس [٢].

كما أنه ينبغي أن نضـع في الاعتبار أن الملحد لا يقر بهذه الفطرة ولا يعترف بوجودها، إما عنادًا ومكابرةً، أو لوجود خلل، أو فسـاد أصـاب فطرته، فصـار غير قادر على إدراك الحقائق الفطرية والانصياع لها؛ لهذا فنحن بحاجة إلى إثبات وجوده - تعالى- بالأدلة والبراهين.

والذي نميل إليه أنه لا يوجد تعارض بين إثبات فطرية وجود الله - تعالى- وبين إثبات الأدلة على وجوده، وأن كلا الفريقين على صـواب، فالذين ذكت نفوسـهم، وصـفت أرواحهم، وسـلمت فطرهم من الانحراف، يملأ وجدانهم وأفئدتهم وجود الله - تعالى-، دون حاجة إلى قيام حجة أو نصب دليل.

والذين لم يصـلوا إلى هذا الحد من صـفاء الفطرة ونقائها، بأن انحرفت فطرهم، تصـبح الأدلة والبراهين المتعددة هي السبيل لهداياتهم إلى الطريق المستقيم.

---

(١) الإسلام والعقل: د/ عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص١٣٠، ١٣٥.

(٢) انظر: عقيدتنا: د/ محمد ربيع جوهري، طبعة وزارة الأوقاف، القاهرة، ١٩٩٧م، جـ١، ص٦٩، وتقريب الاقتصاد في الاعتقاد: د/ عبد الحميد عز العرب، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، ص ٨١.

وختامًا، نود أن نشير إلى أن مسألة وجود الله – تعالى– هي المسألة الرئيسة التي يتلازم في إثباتها الشعور الوجداني والحكم العقلي والحسي تلازمًا ذاتيًا، ولا ينبغي إسقاط أحدها على حساب الآخر، إلا أن الأسبقية – من وجهة نظرنا– تكون فيها للشعور الوجداني؛ لأن الشعور أقرب في استنتاجاته إلى الصواب من مقدمات العقل وحدوده ومعطيات الحس وتلوناته.

فالفطرة دالة على وجوده – ﷻ–، وأما منْ اجتَالتْه الشياطين، وانصرف عن هذا، وشك في هذه الفطرة، نُبّه عليه بالأدلة العقلية، ودُعي إلى التفكر في شواهد الكون الدالة عليه ﷻ؛ لعل غريزته تستيقظ، ويعود إلى الإيمان بوجوده ﷻ.

هذا وقد تبيّن لنا أن الحق الذي أثبته الوحي وعليه أهل السنة، أن الله – ﷻ– فطَر خلقه على معرفته وأمر بلزوم تلك الفطرة، ولكن قد يعرِضُ لبعض الفطر الشك والاضطراب والانحراف، فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده، ولا يُلتفت إلى من أنكر هذه الفطرة بعد أن أثبتها القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

ثانيًا: مسألة صفات الله تعالى:

تعد الصفات الإلهية هي أساس الصلة بالله – تعالى– وأساس التدين عمومًا؛ ذلك أن الإنسان إذا عرف الله حق المعرفة عن طريقها، وتدبر آثارها الإيمانية، وعلم أن الله – تعالى– قادر على أن يعزه ويذله، خضع له، وتقرب إليه بالعبادات التي أمره بها، وانتهى عما نهاه عنه، وإلا كان مصيره ونهايته الخسران في الدنيا والآخرة.

هذا وقد اتفق جميع المسلمين بلا استثناء على أن الله – تعالى– متصف بجميع صفات الكمال الواجبة لذاته – تعالى–، والتي أطلقها – سبحانه– على نفسه، فلا خلاف بين الجميع في كونه تعالى: عالمًا، قادرًا، مريدًا، متكلمًا، وهكذا في سائر صفاته – تعالى–، ثم اختلفوا – بعد ذلك– في تحديد العلاقة بين هذه الصفات والذات الإلهية.

وتظهر لنا المراجع الإسلامية التي أرخت للفرق الكلامية والخلافات التي دارت حول مسائل العقيدة الإسلامية على أنه لم يسأله – ﷺ– أحد من صحابته عن معنى شيء مما وصف الله به ذاته

الكريمة في كتابه العزيز، كما كانوا يسألونه عن أمر الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك، إذ لو سأله أحد منهم عن شيء من الصفات الإلهية لنقل إلينا كما نقلت الأحاديث النبوية الواردة في أحكام الحلال والحرام وغيرها.

ويؤيد صحة هذا الفهم قول المقريزي: " ومن أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي، ووقف على الآثار السلفية، علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة – رضي الله عنهم– على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم، أنه سأل رسول الله – ﷺ– عن معنى شيء مما وصف الرب – سبحانه– به نفسه الكريمة في القرآن الكريم وعلى لسان نبيه محمد ﷺ، بل كلهم فهموا معنى ذلك، وسكتوا عن الكلام في الصفات، فلم تظهر بينهم الفرقة في تلك المسألة "(١).

وقد بدأ البحث في موضوع الصفات الإلهية في الفكر الإسلامي في دائرة محدودة في أول أمره، ثم أخذ يتسع شيئا فشيئا متأثرًا بعوامل مختلفة دينية وثقافية وفلسفية أدت إلى تطوره، وتعدد مناهجه، وبالتالي إلى تفرق الباحثين فيه إلى فرق لها مواقف متميزة، ونظريات مختلفة في الصفات الإلهية، مما أدى إلى خلق ما اصطلح الدارسون على تسميته بمشكلة الصفات الإلهية.

وهكذا تشعّب الخلاف حول الصفات الإلهية في الفكر الإسلامي وتعمق، فتضمن فروعًا متعددة، إذ لم يقف عند الخلاف الأساسي بين الصفاتية (المثبتين للصفات) والمعطّلة (النافين للصفات) حول إثبات أو نفي الصفات الإلهية، بل توسع الخلاف وتفرع بين فرق الصفاتية فيما بينها حول تقسيمات وتصنيفات الصفات الإلهية وعددها.

كما شمل تلك المحاولات التي قام بها المفكرون الإسلاميون للإجابة على أسئلة متعددة بشأن تلك الصفات، وهي كثيرة جدًا، ويمكن حصرها فيما يلي:

هل الصفات عين الذات أم هي غيرها؟ أو بعبارة أخرى: هل الصفات زائدة على الذات الإلهية أم هي هي؟ وهل الصفات الإلهية قديمة أم حادثة؟ أم أن بعضها قديم والآخر حادث؟ وهل الصفات

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: أبو العباس المقريزي، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤١٨هـ، جـ٤، ص١٨٨.

الإلهية إيجابية تثبت لذات الله – تعالى – كمالات معينة؟ أم أنها صفات سلبية تنفي النواقص عن تلك الذات؟ وهل الصفات تتعلق بذات الله أم أفعاله؟ أم تتعلق بالذات والأفعال معًا؟ وهل يوجد تشابه بين صفات الخالق وصفات المخلوق؟

هذا فضلا عن الخلافات التي نشأت بين الفرق الإسلامية المختلفة حول منهج فهم الصفات الخبرية، بإثباتها على المعنى الظاهر من ألفاظها مما يؤدي إلى التشبيه والتجسيم، أو إثباتها كما جاءت بالنصوص الشرعية والقول بالتنزيه واللا كيف، أم بتأويل ألفاظها وصرفها عن معناها الظاهر إلى معنى يحتمله اللفظ استنادًا على الدلائل والقرائن للمعاني الخفية المرادة التي تكمن وراء المعنى الظاهر.

بل لم تقف الخلافات في الصفات الإلهية عند تلك الحدود، وإنما تفرعت عنها مسائل ومشكلات أخرى كان لها شأنها في تاريخ الفكر الإسلامي، كمشكلة الخلاف في القرآن الكريم كلام الله أهو مخلوق أم غير مخلوق؟ وغيرها من المشكلات الأخرى التي تولدت نتيجة الحديث في الصفات الإلهية.

وهذا ما أشار إليه الإمام عبد الحليم محمود، حيث عدّ البحث في موضوع الصفات الإلهية من مشكلات علم الكلام، والتي تسببت في وقوع الاختلاف والجدل والافتراق بين المسلمين، وتولد عنها مشكلات أخرى، يقول: " إن بعض الباحثين لم يلتزموا حدودهم كأفراد من البشر، وذلك حينما حاولوا بعقولهم أن يفتروا على الله ما لم ينزل به سلطانًا، فكانت المشكلة الثانية في علم الكلام – مشكلة الصفات– والتي أثارت الجدل والخصومة والتفرقة بين المسلمين، وجعلتهم فرقًا تتنابز، وتتخاصم، ويرمي بعضها بعضًا بالانحراف والضلال.

ومنذ أن بدأ الحديث فيها بدأ الجدل حولها والنزاع، واستمر خلال العصور عصرًا تلو عصر، ولا يزال يثار حولها الجدل، وكان النزاع حول موضوع الصفات وصلتها بالذات على وجه العموم يسير في

هدوء أحيانا، وفي عنف أحيانا أخرى، وقد تولد عنه كثير من المشاكل الدامية كمشكلة خلق القرآن، والمشاكل المبلبلة للأفكار والخواطر كمشكلة الصلاح والأصلح "[١].

ويرى الإمام أيضًا أن البحث في هذا الموضوع هو تعدٍّ من الإنسان لحدوده التي عليه أن يلتزم بها؛ حيث إنه قد أقدم على مقام لا يرقى إليه، فيقول: " وما من شك في أن البحث في الذات والصفات الإلهية من ناحية الصلة بينهما توحيدًا أو تغايرًا، والبحث في الصفات الموهمة للتشبيه نفيًا أو تأويلا، إنما هو تهجم من الإنسان على مقام لا يرقى إليه وهم متوهم ولا خيال متخيل، وإنه لحق: أن كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك، وقد كان من الطبيعي أن يقدر الباحثون أنفسهم باعتبارهم من البشر حق قدرها، وأن يقدروا الله حق قدره، ولو سار الأمر على هذا النسق لما تطاول البشر إلى مقام الله، ولما تجاوزوا حدودهم، وبالتالي لما كان هناك اختلاف وتنازع وافتراق في موضوع الصفات الإلهية "[٢].

ومن ثم فقد ظهرت الدعوة من البعض في القرون المتأخرة إلى وجوب الامتناع عن الخوض في مسألة الصفات الإلهية؛ لأن البحث التفصيلي فيها بعيد عن مقصد الشرع، وطريقة لم يهتد فيها أي فريق إلى رأي قاطع، وفي ذلك يقول ابن رشد: " فالذي ينبغي أن يعلم الجمهور من أمر هذه الصفات هو ما صرح به الشرع فقط، وهو الاعتراف بوجودها دون تفصيل الأمر فيها هذا التفصيل، فإنه ليس يمكن أن يحصل عند الجمهور في هذا يقين أصلا "[٣].

ويورد الإمام محمد عبده كلامًا مماثلا لهذا، فيقول: " فالذي يوجبه علينا الإيمان هو أن نعلم أنه موجود لا يشبه الكائنات، أزلي أبدى حي عالم مريد قادر متفرد في وجوب وجوده، وفى كمال صفاته، وفى صنع خلقه، وأنه متكلم سميع بصير وما يتبع ذلك من الصفات التي جاء الشرع بإطلاق أسمائها عليه، أما كون الصفات زائدة على الذات، وكون الكلام صفة غير ما اشتمل عليه العلم من معانى

(١) الإسلام والعقل: د/ عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص١٢٦.

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة: ابن رشد، تحقيق: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص١٣٥.

الكتب السماوية، وكون السمع والبصر غير العلم بالمسموعات والمبصرات، ونحو ذلك من الشئون التي اختلف عليها النظار، وتفرقت فيها المذاهب، فمما لا يجوز الخوض فيه؛ إذ لا يمكن لعقول البشر أن تصل إليه، والاستدلال على شيء منه بالألفاظ الواردة ضعف في العقل وتغرير بالشرع "(١).

وهذا ما قرره الإمام عبد الحليم محمود حيث قال: " وسواء نظرنا إلى التراث الديني الصحيح من قرآن أو سنة، أو نظرنا إلى أصحاب الآراء السليمة التي فهمت الأوضاع الدينية فهمًا يتلاءم مع الروح الصحيح للتدين، فإننا نجد أن الاتجاه العام في ذلك كله يبتعد بالإنسان ابتعادًا تامًا عن أن يقول في الله –سبحانه – ذاتًا وصفاتًا– برأيه، قال ﷺ (تَفَكَّرُوا فِي آلاءِ، ولا تَفَكَّرُوا في ذاته فتهلكوا) (٢)، فهذا الأثر يرسم النهج السليم، ويعبر عما يجب أن يكون عليه الإنسان إذا أراد النجاة، وابتغى السلامة "(٣).

ولذا فإن الإمام يرى أن مذهب السلف في الصفات هو المذهب السليم والصواب؛ لأن هؤلاء السلف قدروا الله حق قدره، وقدروا أنفسهم حق قدرها، فمذهبهم فيها لا يثير جدلا ولا خصومة، وليس من طبيعته ذلك، إنه مذهب العبودية الصحيحة، ومن ثم فإن سلف الأمة قد سلموا من الاضطراب، والتنازع، والاختلاف، فكانوا فرقة واحدة.

---

(١) رسالة التوحيد: الإمام محمد عبده، مكتبة محمد على صبيح وأولاده، القاهرة، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م، ص٣٨.

(٢) أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الأوسط، حديث ٦٣١٩ (المعجم الأوسط: أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق عوض الله محمدا عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، جـ٦، ص٢٥٠)، وأخرجه الإمام البيهقي في شعب الإيمان، حديث١١٩ (شعب الإيمان: أبو بكر البيهقي، تحقيق: عبد العلي حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م، جـ١، ص٢٦٢)، وإسناده ضعيف، وقد حسّنه الألباني في السلسلة الصحيحة، حديث ١٧٨٨ (سلسلة الأحاديث الصحيحة: أبو عبد الرحمن الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، جـ٤، ص٣٩٥).

(٣) الإسلام والعقل: د/ عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص١٢٥.

ولهذا فإن الإمام قد نادى باتباع هذا المذهب؛ فهو مذهب الفرقة الناجية، ومن ثم على كل المسلمين الذين يفهمون أمور دينهم أن ينشروه، حتى نقضى على الاختلاف والتنازع بين أفراد الأمة، ونستطيع أن نوحد كلمتها بين جميع أفرادها.

يقول رحمه الله: " والحكمة كل الحكمة إذن إنما هي موقف سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم- في الصفات، فهو المذهب الذي يتمذهب به كل من عنده نزعة التدين السليمة، وهو مذهب الإمام مالك، والإمام الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل، والسلف الصالح - رضي الله عنهم-، ومن الطبيعي أن يكون مذهب الفرقة الناجية، ويجب على كل المسلمين الفاقهين لدينهم أن ينشروه في جميع أنحاء المملكة الإسلامية، فهو أمانة في عنقهم، وهو رسالة يجب عليهم نشرها منعًا للحيرة والاضطراب عند الأفراد، ومنعًا للاختلاف والتنازع بين الجماعات، ونشرًا للإسلام، وتوحيدًا للكلمة بين الأفراد والجماعات الإسلامية "(١).

وأخيرًا يطالب الإمام - رحمه الله- بحذف مسألة الصفات من علم الكلام، والتي تعد - من وجهة نظره- من أهم الأسباب التي أدت إلى التفرقة بين المسلمين، وأننا حينما نفعل هذا نكون قد ساهمنا بقسط كبير في توحيد كلمة الأمة، يقول - رحمه الله-: " ويجب أن ينتزع بحث الصفات كلية من محيط الفكر الإسلامي، وأن تنتزع المسألة مما يسمونه علم الكلام، فإذا فعلنا ذلك فإننا نكون قد أزلنا سببًا آخر مهمًا من الأسباب التي تفرق المسلمين بسبب الاختلاف في العقيدة، ونكون بذلك قد ساهمنا بقسط وافر في سبيل التوحيد "(٢).

ولكننا نرى بأن الحكم على الشيء فرع تصوره، ومن ثم فيجب علينا قبل أن نرفض فكر علماء الكلام أن نتصور هذا الفكر ثم نحكم عليه، وإذا صح لنا الحكم على فكر علماء الكلام بعد تصوره

(١) الإسلام والعقل: د/ عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص١٢٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٩.

تراثًا، فإننا نقف على فكر فيه جهد مبذول، دعت إليه الضـرورة في وقته، وقام بواجبه حينذاك متصـديًا للتيارات الوافدة.

كما أن دراسـة آراء الفرق في قضـية الصـفات وغيرها من القضـايا في العصـر الحاضـر، تجعلنا نختصر الطريق إلى أقربه ممثلا في التمسك بموقف السلف – والذي نادى به الإمام ﷺ– في مثل هذه الدراسات، حيث يكون قد اتضح لنا عدم جدوى الجدال فيما لا يستطيع العقل أن يتناوله.

وبهذا نجد أن الإمام عبد الحليم محمود قد أعاد إلى أذهان المسلمين بمنهجه الواضح هذا حقيقة أن الإسلام قد فرق بين عالم الغيب والشهادة، وأنه أراحهم في عالم الغيب عندما وضع أمامهم الحقائق الغيبية الكلية جاهزة، ثم دعاهم في عالم الشهادة (المادة) إلى تحريك طاقاتهم لتسخير ما في الوجود من القوى؛ ذلك لأن حدود تفكيرهم العقلي مهيأة وصـالحة للصـراع في عالم المادة لا الولوج في جزئيات وتفاصيل عالم الغيب، فتجاوز تلك الحدود فيه ضياع للجهد، وتمزيق وتشويه لعقيدة الأمة.

مما سـبق نسـتطيع القول بأن الإمام عبد الحليم محمود قد وقف من خلافات المتكلمين في الصفات الإلهية موقفًا فيه تنبيه غليظ، بأن حركة الفكر الإسلامي في مبحث الصفات الإلهية وفي مجال الغيبيات عمومًا تحتاج إلى مرتكز ثابت لن تجده في مصطلحات الفكر والفلسفة اليونانية والفلسفات الأخرى التي اخترعها العقل الإنسـاني، وإنما تجده في الوحي الإلهي المتمثل في القرآن الكريم والسـنة النبوية الصحيحة؛ لأنه جاء بالحق نصًا ودلالة في مجال الغيبيات.

ومن ثم فلا حاجة للتأويلات ومتابعة الكلام الذي أحدثه المتكلمون والفلاسـفة في بحثهم وخلافاتهم في الصـفات الإلهية، مما يسـهم في إعادة بناء العقلية الإسـلامية ببعث الثقة، ورأب الصـدع الفكري، فيكون بذلك إنهاء للتعصـب المذهبي القائم علي الفكر الاجتهادي في مسـائل العقائد عمومًا لخطره علي وحدة الأمة الإسلامية.

ثالثًا: مسألة القدر:

- مسألة القدر قديمة:

منذ أقدم العصور والإنسان يفكر في نفسه، وفى الكون المحيط به، وكانت قضية القدر أو الجبر والاختيار إحدى القضايا التي تناولها عقله، وشغلت حيزًا كبيرًا من تفكيره، ولا تزال هذه القضية إلى يومنا هذا مثار جدل ومناقشة بين المفكرين والفلاسفة، ولا يزال اهتمامهم بها اهتمامًا بالغًا، فهم يبحثون فيها، ويكدون، ويجدون في البحث، علّهم يهتدون إلى الحل الصحيح؛ كي يرسموا لأنفسهم السلوك على ضوء الحل الذى يهتدون إليه، إذ هي ترتبط بحياتهم وما فيها من تقلبات الأحوال من صحة ومرض، وفقر وغنى، وموت وحياة، وسعادة وشقاء، إلى غير ذلك من الأحوال الأخرى.

وقد أشار الإمام عبد الحليم محمود إلى هذا، فقال: " لقد شغلت مسألة القدر، أو الجبر والاختيار، أو أفعال العباد، عقول الإنسانية منذ أن كان الدين، أي منذ ابتداء تاريخ الإنسان على ظهر الكرة الأرضية، وإذا أثيرت مسألة القدر في أي وسط كان، مهما كان قليل العدد، فإنها تقسمه إلى قسمين: يقول أحدهما بالجبر، والآخر يقول بالاختيار، لقد أثارها اليهود في دينهم، ففرقت بينهم، وقال بعضهم بالجبر، وقال الآخرون بالاختيار، وأثيرت في الديانة النصرانية على مجرى التاريخ، فكان النزاع، والجدل، وكان التحيز لرأي، والتعصب له، وانقسم رجال المسيحية إلى فريقين يختصمان"[(١)].

ويمثل القدر أحد أبرز المسائل الغيبية في العقيدة الإسلامية، كما أنه يثير العديد من الإشكاليات مما جعله مزلة أقدام، وبابًا ضَل فيه الكثيرون؛ لأنهم حاولوا الاطلاع علي أسرار وخفايا موضوع هو من أخص خصائص عالم الغيب الذي اختص الله بعلمه، فلم يطلع علي غيبه أحدًا إلا من اصطفى من أنبيائه ورسله، بل إن هؤلاء المرسلين أنفسهم لم يُطلعهم الله – تعالى – علي كل شيء، بل أطلعهم على ما أراد لحكمةٍ بالغةٍ قضاها.

وهذه المشكلة – أعني القدر أو الجبر والاختيار – ليست خاصة بالفكر الإسلامي، بل هي قديمة تهم الفكر الإنساني بجميع وجوهه، وتهم الأديان والفلسفات والأخلاق على حد سواء، فقد انشغل

(١) الإسلام والعقل: د/ عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص١٢٢.

بها العقل اليهودي، والعقل المسيحي، فكانت من أسباب الخلافات الرئيسية بين الفرق اليهودية والفرق المسيحية.

فقد اشتهر عن اليهود في القدر مذهبان: الأول: مذهب الربانيين: وهم فرقة من فرق اليهود، وهؤلاء ينفون القدر، والآخر: مذهب القرائين: وهو من فرق اليهود، وهؤلاء لا يعترفون إلا بالتوراة – العهد القديم– كتابا مقدسًا، ومذهبهم في القدر هو القول بالجبر (١).

وأما النصارى فقد اختلفوا فيه أيضًا: فالمسيحيون الشرقيون (ويسمون باليعاقبة، أو اليعقوبية وهم أتباع يعقوب البراذعي) يقولون: إن الإنسان مخير، والآخرون (وهم النساطرة، أو النسطوريون نسبة إلى نسطور الذي كان بَطْرِيَرْك القسطنطينية) يقولون بالجبر (٢).

- مسألة القدر من المتشابه المستعصي على الحل:

من قضايا العقيدة والغيب التي تتعالى على العقل وتتجاوز سلطته: مسألة القدر، وليرح الإنسان نفسه فلن يصل – في هذه الحياة الدنيا– إلى كشف حقيقتها ومعرفة سرها.

يقول ابن رشد – موضحا إشكال هذه المسألة وسبب افتراق المسلمين فيها –: " هذه المسألة من أعوص المسائل الشرعية؛ وذلك أنه إذا تؤملت دلائل السمع في ذلك وجدت متعارضة، وكذلك حجج العقول، أما تعارض أدلة السمع في ذلك فموجود في الكتاب والسنة، أما في الكتاب فإنه تُلْفَى فيه آيات كثيرة تدل بعمومها على أن كل شيء بقدر، وأن الإنسان مجبور على أفعاله... وكذلك الأحاديث... ولذلك افترق المسلمون في هذا المعنى "(٣).

---

(١) الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، مرجع سابق، جـ١، ص٢١٢، واليهودية: أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٨، ١٩٨٨م، ص٢١٨.

(٢) الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، مرجع سابق، جـ١، ص٢٢٥، وتاريخ الفلسفة في الإسلام: دي بور، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو رَيْدَه، دار النهضة العربية، بيروت، ١٣٧٤هـ، ١٩٥٤م، ص٨٣.

(٣) الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة: ابن رشد، تحقيق: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص١٨٦.

إن المتشابه في القرآن هو ما تعرض لحقائق غيبية يعجز البشر عن إدراك كنهها، وقد يكون للعقل شعور بهذا المتشابه على وجه الجملة، بحيث يفهمه فهمًا ما، ولو بمجرد معرفة الأسماء، وهذا كأحوال الآخرة وصفاتها وما سيجري فيها، وكالقدر وسره، والناس لا يولدون في هذه الحياة بمحض اختيارهم أو لسبب يعرفونه ويقدرونه، إنهم يعيشون بمزيج من الغرائز والمسببات غير المعقولة أو الثابتة، وهم يعلمون أنهم سيموتون يومًا، ولكن دون أن يعي منطقهم المحدود سبب هذا الموت؛ ذلك أن العقل يعجز عن إيجاد حل لهذه المشكلات، بالإضافة إلى أنه لم يخلق لهذا الضرب من التفكير، فالفكر ليس في حد ذاته غاية، بل هو أداة يستخدمها الإنسان ليكيف نفسه مع قيم الحياة وأغراضها التي لا يمكن إدراك كنهها.

وهذا ما ذهب إليه الإمام عبد الحليم محمود عندما قال: " ومسألة القدر إذن من المتشابه، إنها من أهم مسائل المتشابه، وهي فضلا عن ذلك عصيّة على الحل، إنها ليست قابلة للحل، وهي ليست قابلة للحل سواء أثيرت في الشرق أو في الغرب، وسواء أثيرت في القديم أو في الحديث، أو أثيرت في البادية أو في الحضر، إنها مفرقة بين الباحثين فيها، ومهما طال الجدل بينهم فسوف لا ينتهون إلى نتيجة، ومن أجل ذلك كانت الروح الإسلامية العامة تحرم الخوض فيها "(١).

فقدر الله وقضاؤه الشاملُ النافذ له حِكَمٌ وأسرارٌ لا سبيل للخلق إلى معرفتها، فإن الخلق لا يُحيطون به – تعالى– علمًا، لا بذاتِه ولا صفاته ولا أفعاله ولا بحكمته في خلقه وأمره، وما دام أن اللهَ – تعالى– قد استأثر بذلك؛ فلا تطلب ما لا سبيل إلى معرفته، والرسل الذين هم صفوة الخلق، والمقربون من الملائكة لم يُطلَعوا على سرِّ القدر، فهذا يؤكّد أن ذلك مما استأثر الله به، واختص بعلمه، فسرُّ القدر من الغيب المطلق.

يقول الإمام محمد عبده: " إن هذا النوع من المتشابه في القرآن ضروري؛ لأن من أركان الدين ومقاصد الوحي الإخبار بأحوال الآخرة، فيجب الإيمان بما جاء به الرسول من ذلك على أنه من الغيب، كما نؤمن بالملائكة والجن، ونقول: إنه لا يعلم تأويل ذلك أي حقيقة ما تؤول إليه هذه

(١) الإسلام والعقل: د/ عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص١٢٣.

الألفاظ إلا الله، والراسخون في العلم وغيرهم في هذا سواء، وإنما يعرف الراسخون ما يقع تحت حكم الحس والعقل فيقفون عند حَدِّهِم "(١).

ومن ثم فإن البحث في أسرار القدر والتعمق فيه سببٌ للشقاء والهلاك، وسببٌ لخذلان العبد وعدم توفيقه، وحرمانه من الاستقامة، وسببٌ للطغيان، فمن بحث وخاض وتعمَّق فيه، فقد طغى وتعدَّى حدَّهُ، فليس من العقل إقحام العقل في بحوث لا قبل له بها، ولا طاقة له عليها، فعلمُ أسرارِ القدر من العلم الذي لا يجوز أن يُطلَبَ.

- الاعتماد في معرفة القدر على الكتاب والسنة:

يجب علينا أن نعتمد في معرفة القدر وحدوده وأبعاده على الكتاب والسنة، وأن نترك الاعتماد في ذلك على نظر العقول ومحض القياس؛ فالعقل الإنساني لا يستطيع بنفسه أن يضع المعالم والركائز التي تنقذه في هذا الباب من الانحراف والضلال، والذين خاضوا في هذه المسألة بعقولهم ضلوا وتاهوا، فمنهم من كذَّب بالقدر، ومنهم من ظن أن الإيمان بالقدر يُلزم القول بالجبر، ومنهم من ناقض الشرع بالقدر، وكل انحراف من هذه الانحرافات سبب مشكلات في واقع البشر وحياتهم ومجتمعاتهم؛ إذ الانحراف العقائدي يسبب انحرافًا في السلوك وواقع الحياة.

قال أبو المُظَفَّر السمْعَاني: " سبيل المعرفة في هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل، فمن عدل عن التوقيف فيه ضلَّ وتاه في بحار الحيرة، ولم يبلغ شفاء العين، ولا ما يطمئن به القلب؛ لأن القدر سِرٌّ من أسرار الله - تعالى-، اختص العليم الخبير به، وضرب دونه الأستار، وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة، فلم يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب "(٢).

(١) تفسير المنار: الشيخ محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م، جـ٣، ص١٣٨.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: الإمام ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، و محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، جـ١١، ص٤٧٧.

- النهى عن الخوض في القدر:

جاءت نصوص الشرع، وآثار السلف متواطئة على النهي عن الخوض والجدال والخصومة في القدر، ولفت النظر إلى أن حقيقته وكنهه سر من أسرار الله - تعالى- التي لم يطلع عليها أحدًا من خلقه، وأن البحث والتنقيب عن ذلك سبب للضلال والخذلان، والوقوع في وساوس الشيطان.

يقول الإمام عبد الحليم محمود: " وقد أراد رسول الله - ﷺ- أن يتلافى انشقاق الأمة بسبب إثارة هذه المشكلة، فكان ينهي دائمًا عن إثارتها وعن الجدال فيها "(١).

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله - ﷺ- ذات يوم والناس يتكلمون في القدر، قال: وكأنما تَفَقَّأَ في وجهه حَبُّ الرُّمَّانِ من الغضب، قال: " فقال لهم: ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم "(٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال: خرج علينا رسول الله - ﷺ- ونحن نتنازع في القدر، فغضب حتى احمر وجهه، حتى كأنما فُقِئَ في وجنتيه الرمان، فقال: " أبهذا أُمِرْتُمْ أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عَزَمْتُ عليكم ألا تنازعوا فيه "(٣).

---

(١) الإسلام والعقل: د/ عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص١٢٢.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو رضى الله - تعالى- عنهما، حديث رقم ٦٦٦٨، وقال عنه الشيخ شعيب الأرنؤوط: صحيح وهذا إسناد حسن. (مسند الإمام أحمد بن حنبل: الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة، جـ٢، ص١٧٨).

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، أبواب القدر، باب: ما جاء في التشديد في الخوض في القدر، حديث ٢١٣٣، وقال عنه الألباني: حديث حسن (سنن الترمذي: الإمام الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، جـ٤، ص٤٤٣).

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه- قال: " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "إذا ذُكِرَ القدر فَأَمْسِكُوا، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا" (١).

وقد علق الإمام عبد الحليم محمود على هذه النصوص بقوله: "وهكذا اتخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم- موقفًا حاسمًا جازمًا بالنسبة لمنع الخلاف في هذه المسألة، أو حتى مجرد إثارتها، ومضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- راضيًا مرضيًا، وهو لا يسمح - حتى النفس الأخير من حياته الشريفة- بأن تثار هذه المسألة" (٢).

نعم على الإنسان أن يسلم بقضاء الله وقدره، وليس له أن يخوض ويجادل ويخاصم في القدر؛ فإن الخصومة في القدر تؤدي إلى التشكيك والاعتراض على قضاء الله وقدره، وهذا يؤدي إلى إنكار القضاء والقدر، والشك في قضاء الله وقدره وإنكاره كفرٌ، فالقدر سر الله في خلقه.

قال الإمام الآجُرِّيُّ: "لا يَحْسُنُ بالمسلمين التنقيرُ والبحث في القدر؛ لأن القدر سر من أسرار الله - عز وجل-، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير أو شر واجب على العباد أن يؤمنوا به، ثم لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر فَيُكَذِّبُ بمقادير الله الجارية على العباد، فَيَضِلُ عن طريق الحق" (٣).

وقال الإمام جمال الدين الغزنوي: "فينبغي للعبد أن يرضى بجميع ما قضى الله - تعالى- عليه وقدره، ويلزم طريق الصبر والتسليم والتفويض، وهو لا يخوض في قضاء الله وقدره، أو بوسوسة أو

---

(١) أخرجه الإمام أبو محمد الحارث في مسنده، كتاب: القدر، باب: النهى عن الكلام في القدر، حديث ٧٤٢ (مسند الحارث (بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث): أبو محمد الحارث المعروف بابن أبي أسامة، تحقيق: حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، جـ٢، ص٧٤٨).

(٢) الإسلام والعقل: د/ عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص١٢٣.

(٣) الشريعة: أبو بكر محمد بن الحسين الآجُرِّيُّ، تحقيق: عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، جـ٢، ص٧٠٢.

مقال فإن الله – تعالى – أخفى علم القدر عن عباده، ونهاهم عن مرامه، ومنعهم عن الاعتراض فيه، والسؤال عنه" (١).

ومن ثم فإن الإمام عبد الحليم محمود يصل في النهاية إلى القول بحذف تلك المسألة من علم الكلام، بل من الفكر الإسلامي بصفة عامة، وبذلك نكون – على حد تعبيره – قد أزلنا سببًا مهمًا من الأسباب التي أدت إلى تفريق المسلمين، يقول – رحمه الله –: "أما النتيجة التي نريد أن نصل إليها من وراء كل ذلك، فهي: أن البحث في هذه المسألة يجب أن ينتزع كلية من محيط الفكر الإسلامي، وأن تنتزع المسألة مما يسمونه علم الكلام، فإذا ما فعلنا ذلك فإننا نكون قد أزلنا سببًا مهمًا من الأسباب التي تفرق المسلمين بسبب الاختلاف في العقيدة، ونكون بذلك قد ساهمنا بقسط وافر في سبيل التوحيد" (٢).

القدر ركن من أركان الإيمان، ويدل على هذا قول سيدنا جبريل للنبي – ﷺ – فأخبرني عن الإيمان، قال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"، قال: صدقت "(٣)، فكيف نحذفه من فكرنا الإسلامي؟ بل لابد من وجوده، ومعرفته كما جاء في الكتاب والسنة وأقوال السلف، حتى يتحقق الإيمان، ولعل الإمام – رحمه الله – يقصد بكلامه هذا، هو حذف الجدل حوله، ومسائل الخلاف فيه، وأن نؤمن به دون أن نجادل فيه.

نعم نهى الرسول – ﷺ – الصحابة في أكثر من موضع عن الجدل والتنازع في القدر، وهذا حق؛ لأن التنازع والجدال فيه مظنة الاختلاف، وهذا داعٍ إلى القول فيه بغير الحق، وهو منهي عنه، فإذا جاء خائض ليخوض في باب القدر بالباطل، ويأتي ليقول: لماذا قدر الله؟ لماذا كذا؟ لماذا كذا؟ ثم يأتي محتجًا ومعترضًا إلى آخره، ففي هذه الحالة ينطبق عليه نهى النبي – ﷺ – عن الخوض في القدر.

---

(١) كتاب أصول الدين: جمال الدين الغزنوي، تحقيق: عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، ص١٩٢.

(٢) الإسلام والعقل: د/ عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص١٢٤.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة.

وأما فهم مسائل القدر ومعرفتها والإيمان به وفق كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله ﷺ، فذلك غير داخل في هذا النهي؛ لأنه معرفةٌ لركن من أركان الإيمان الستة التي يجب الإيمان بها ومعرفتها، والتعبد لله بها، وهذا لم ينكره الإمام رحمه الله.

وإن علماء السلف ذكروا القدر، وبحثوا فيه، بل ألفوا فيه رسائل وكتبًا مستقلة، فهل معنى هذا أنهم خالفوا أمر رسول الله - ﷺ - في النهي عن الخوض فيه؟ لا، وإذا كانت ترد حوله بعض الإشكالات، ألا يجب بيان الحق للناس حتى لا يضلوا؟ وحتى يكونوا على بصيرة من أمر دينهم؟ ومن ثم فإننا نرى ضرورة وجوده في الفكر الإسلامي بوجه عام، وفي علم الكلام بوجه خاص وعدم حذفه منهما باعتباره ركنًا من أركان الإيمان.

كما أنه قد جاء في حديث القدر نفسه السابق ذكره ما يدل على ذلك، ألا وهو قوله ﷺ (وإذا ذكر أصحابي فامسكوا)، فهل معنى ذلك أننا لا نتحدث عن الصحابة وأنسابهم وأسمائهم وجهادهم وأحوالهم وأقوالهم إلى آخره؟! لا، بل الواضح أن المقصود بذلك: إذا ذكر الصحابة بباطل، وصار الناس يخوضون فيهم بين مخطئٍ لهم وقائل فيهم بما لا يجوز، وخاصة ما جرى بينهم - رضي الله عنهم وأرضاهم -، فواضح جدًا أن هذا من الخوض الذي لا يجوز، ومن ثم فإن النهي منصب على شيء معين؟ وهو الإمساك عن ذكرهم بالباطل، وعما شجر بينهم - رضوان الله عليهم جميعًا -، وكذلك يقال في القدر: بأن النهي عن الخوض فيه إنما هو منصب على الخوض فيه على وجه التنازع والجدال والاعتراض على الله - تعالى -، لا على وجه المعرفة الصادقة من الأدلة الصحيحة.

وأما ما يؤثر عن العلماء من أن القدر سر لله في خلقه، فهذا صحيح يجب إدراكه لكل من يبحث في القدر، لكن هذا محصور في الجانب الخفي من القدر، ألا وهو كونه ــ سبحانه وتعالى ــ أضل وهدى، وأمات وأحيا، ومنع وأعطى، وقسم ذلك بين عباده بقدرته ومشيئته النافذة، فمحاولة معرفة سر الله في ذلك لا تجوز؛ لأن الله حجب علمها حتى عن أقرب المقربين.

وأما جوانب القدر الأخرى وحكمه العظيمة، ومراتبه ودرجاته وآثاره، فهذا مما يجوز الخوض فيه، وبيان الحق للناس فيه، بل بيانه مما يندب إليه وينبغي شـرحه وإيضـاحه للناس، إذ الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان التي ينبغي تعلمها ومعرفتها.

وقد يقال: أليس في هذا المنهج حجر على العقل الإنســاني؟ والجواب: أن هذا ليس بحجر على الفكر الإنساني، بل هو صيانة لهذا العقل من أن تتبدد قواه في غير المجال الذي يحسـن التفكير فيه، إنه صيانة للعقل الإنساني من العمل في غير المجال الذي يحسنه ويبدع فيه.

المطلب الرابع

ما ينبغي أن يكون عليه علم الكلام عند الإمام عبد الحليم محمود

إن نظرة سريعة لما يدور في أروقة الأقسام الدراسية والمحاضرات الجامعية الخاصة بعلم الكلام اليوم، تكشف لنا عن هوة سحيقة بين واقع المسلمين، وما يلقى على طلبة العلم من دروس فكرية تتصل بعلم الكلام، هذا العلم الذي كان يمثل خط الدفاع الأول والحصن الحصين ضد حملات التشكيك في الإسلام وعقائده، والذي أصبح الآن تراثا ثقافيًا يتعرف الطالب من خلاله على آراء وأقوال وحجج الأقدمين التي واجهوا بها حملات المغرضين، والتي اعترضت سبيل الدعوة في عصرهم.

لقد أضحى علم الكلام يكرر نفسه في عصور متلاحقة عبر الشروح والتعليقات والحواشي على المتون العقائدية، ولم يستطع الإفلات من قبضة رؤيته التقليدية التي تشكلت في فضاء ذلك الواقع، وظلت مشاغل المعنيين بهذا الفكر ساكنة لا يتجدد فيها شيء، ولا تتقدم خطوة الى الأمام لمواكبة تطور الحياة وتغير الأزمان والأحوال.

كما ظهر بصورة جلية لا تخفى على أحد طغيان المسائل الفلسفية في علم الكلام، باعتبار أن هذه المسائل أضحت تشكل الأصول النظرية لهذا العلم، فيجب أن يهتم علم الكلام ببحث هذه الأصول ويقرر القول الفصل فيها، كي ينتقل إلى دراسة المسائل العقائدية، ومن ثم فقد استهلكت المسائل الفلسفية مساحة كبيرة من المساحة المخصصة للإلهيات بالمعنى الأخص في المصنفات الكلامية، فعندما نعود إلى أحد هذه المصنفات نجد ما يحتل الصدارة فيها عناوين (الوجود والعدم، والماهية، والعلة والمعلول، والجوهر والعرض، والإمكان والوجوب، والقدم والحدوث... الخ)، وكل عنوان من هذه العناوين عادة ما يبحث بإسهاب لا يخلو من إطناب واستطراد ممل، قبل الوصول إلى مباحث العقيدة.

أدى كل هذا وغيره إلى انفصال علم الكلام عن الواقع، وصارت علاقته بالحياة تتلاشى مع تطور الحياة ونمو خبرات الإنسان وازدهار العلوم الطبيعية، فعلى الرغم من أننا نجد علم الكلام في فترات ازدهاره، قد خاض في معارك طاحنة، أبلى فيها بلاء حسنًا في مجال الدفاع عن العقيدة، إلا أنه في

عصوره الأخيرة بات يعرض التراث دون إبداع أو تجديد، ليقدم فيها العقائد الإسلامية في صورة مثالية منقطعة الصلة عن الواقع الإسلامي الذي نعيشه.

ومن ثم فقد أصبح علم الكلام في أزمة، وفي حاجة إلى الخروج من حالة الانعزالية والتقوقع والانطواء الذي يعيش فيه، حتى يؤدي دوره في الحياة، فتجديده مطلوب وتبديله مرفوض.

لقد قرر رسول الله – ﷺ- أن التجديد أمر وارد وممكن، بل مطلوب للإيمان الذي هو تصديق قلبي، فقال لأصحابه (جددوا إيمانكم، فلما سألوه: يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا؟ قال: (أكثروا من قول: لا إله إلا الله) [(١)]، ثم جاءت الكثرة الغالبة من مفكري الإسلام، فقرروا أن الإيمان يزيد وينقص، تبعًا لعمل صاحبه ونقاء تصوراته، أي أنه في حركة وتجدد وتجديد.

والتجديد الذي نريده هنا هو عبارة عن" إزالة ما طرأ على الأصول والكليات والقسمات الأساسية، مما يتعارض مع روحها ومقاصدها، الأمر الذي يكشف عن نقاء هذه الأصول ويعيدها بالعقلانية والاجتهاد كي تفعل فعلها في مستحدثات الأمور، وما يستجد في واقع الحياة، ففيه عودة لحقيقة الذات واستلهام لعوامل الثبات وقسماته، مع إضافات جديدة تعالج الجديد في إطار الأصول والثوابت، بحيث يتم للحضارة ذلك الاتساق الذي يجعل حاضرها الامتداد المتطور للقسمات الأصيلة والثوابت الجوهرية في بنائها القديم "[(٢)].

وبناءً على هذا التشخيص للمشكلة وبيان منبعها، يدلنا المفكر الإسلامي مالك بن نبي – رحمه الله- على أن العلاج ليس في تكثير البراهين العقلية ونقض الإشكالات على وجود الله – تعالى-، مثلما يفعل علم الكلام التقليدي، إذ (ليست المشكلة أن تُعلّم المسلم عقيدة هو يملكها، وإنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها وقوتها الإيجابية، وتأثيرها الاجتماعي، وفي كلمة واحدة: إن مشكلتنا ليست

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبى هريرة رضي الله عنه، حديث ٨٧١٠، وأخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب التوبة والإنابة.

(٢) الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين: محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ص١٠.

في أن نبرهن للمسلم على وجود الله، بقدر ما هي في أن نشعره بوجوده، ونملأ به نفسه، باعتباره مصدرًا للطاقة)[١].

وعلى ضوء هذه الحقائق نستطيع أن نفهم موقف الإمام عبد الحليم محمود من علم الكلام فيما ينبغي أن يكون عليه، حيث إنه دعا إلى تجديد علم الكلام عن طريق رفضه لموضوعات علم الكلام التقليدي – على حد تعبيره –، والتي طالب بحذفها من علم الكلام كما سبق بيانه، من البحث في وجود الله – تعالى –، وصفاته، ومسألة القدر، وغيرها من الموضوعات الأخرى التي تتفرع وتلزم عن هذه المسائل.

وقد أشار إلى هذا فقال: " هذه المسائل التي ذكرناها تكوّن – مع فروعها ولوازمها – ثلاثة أرباع علم الكلام التقليدي على التقريب، وقد يتساءل القارئ عن علم الكلام فيما ينبغي أن يكون "[٢].

وعندما طرح – رحمه الله – تساؤل البعض عن علم الكلام فيما ينبغي أن يكون عليه، أجاب بقوله: " وعلم الكلام فيما ينبغي أن يكون، إنما يدور حول النبوة أولا: إنه يدور حول إثباتها على وجه العموم، وإثباتها في استفاضة على وجه الخصوص بالنسبة لسيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ويدور ثانيًا: حول بيان أن الدعوة – في آياتها المحكمات – إنما هي آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، وأن الذين يرتابون فيها هم المبطلون، وأن الذين يجحدون بها هم الظالمون، وبتعبير آخر: يتركز علم الكلام في الداعي والدعوة، إنه يتركز في الداعي في صورة مستفيضة، ويتركز في الدعوة على صورة مجملة "[٣].

وتأتي هذه الإجابة من الإمام – رحمه الله – بسبب اختلاف المسلمين بعد رحيل نبيهم – صلى الله عليه وسلم – على عدّة مذاهب وطرق واتجاهات، فقد أخذ كل فريق منهم يضع تصوّره الخاص حول مسائل العقيدة،

---

(١) وجهة العالم الإسلامي (مشكلات الحضارة): مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٤٣١هـ، ٢٠٠٢م، ص٥٤.

(٢) الإسلام والعقل: د/ عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص١٧٧.

(٣) نفس المرجع السابق.

وأخذ يستدل على هذه التصوّرات، مما جعل علم الكلام ينحصر دوره في التدليل على المسائل العقدية وردّ شبهات كل فريق على الفريق الآخر، الأمر الذي حرّف هذا العلم عن أن يكون له الدور الإيجابي في مسألة تعميق العقيدة وتمكينها في نفوس المؤمنين بها.

وكذلك بسبب أن وظيفة علم الكلام تجلت تاريخيًا في بُعدين: الأول عملي، والآخر نظري، فبينما تعاونا البُعدان في عصر البعثة، ومهد الثاني منهما للأول، حينما كانت النبوة ظاهرة ربانية تنتج الإيمان وتغذيه في الأنفس باستمرار، عبر إيقاظ الفطرة وإضاءة البصيرة، ليكون الإيمان ينبوعًا تستقي منه فعاليات الحياة ومتطلباتها بأسرها، ثم ما لبث أن طغى البُعد النظري بالتدريج على حساب البُعد العملي.

وصار علم الكلام يهتم بالبعد النظري، وينزلق بعيدًا عن وظيفته الحقيقة، ولم يُعنَ إطلاقًا بتوظيف النظر لأجل العمل، مثلما كان يفعل هذا العلم في عهد النبوة، ويمكننا معاينة ذلك من خلال نظرة سريعة على مصنفات المتكلمين عبر أزمنتها المختلفة، فسنرى أن وظائف هذا العلم قد انحصرت في: تبيين الأصول العقائدية للإسلام وتحديدها، وإثباتها بالأدلة العقلية، والدفاع عنها أمام الشبهات والشكوك التي تحوم حولها ودحضها (١).

هذه وظائف علم الكلام، وهي - باختصار- تعنى إثبات العقائد وبيانها والدفاع عنها، ومع أن هذا يُعد أمرًا ضروريًا، لكن ذلك يختزل وظيفة هذا العلم ببُعد واحد، حينما يحبسه في حدود النظر فقط، فضلا عن أن هذا المنهج تنجم عنه آثار ونتائج تُفرِّغ هذا العلم من روحه ودوره الذي كان من المفترض أن يؤدّيه، وهو تعميق الروح الإيمانية التوحيدية لدى الفرد المسلم وربطها بخالقها، ولعل من أسوأ هذه الآثار هو تحويل هذا العلم إلى مفاهيم عقلية ساكنة.

الأمر الذي دفع الإمام - رحمه الله- إلى المطالبة في أكثر من موضع، برفع موضوعات علم الكلام التقليدي- من الحديث عن الصفات والقدر وغيرهما- من علم الكلام، والتي أدت إلى وقوع

(١) الموجز في أصول الدين: السيد محمد باقر الصدر، تحقيق: عبد الجبار الرفاعي، دار سعيد بن جبير، ط١، ١٤١٧هـ، ص٩.

الاختلاف بين المســلمين وتفريقهم، وإلى فقدان علم الكلام لوظيفته الحقيقية، ومن ثم فقد نادى بعرض علم الكلام عرضًــا جديدًا، من خلال توجيه موضــوعاته إلى إثبات النبوة، والاهتمام بالدعوة، بأسلوب يلائم العصر الذي نحن فيه، ويشد إليه الناس، وليس هذا فحسب، وإنما تتيسر للناس به حياة سعيدة، حتى يكون له الدور الإيجابي في مسألة تعميق العقيدة.

إن الفطرة التي فطر الله – تعالى – الناس عليها قد تحتجب وتدفن أحيانًا، مما يتكدس عليها من إفرازات الشهوات والأهواء والمفاهيم الضالة، ومن هنا يتجلى دور النبوة في الحياة؛ لأن تعطل الفطرة عن الوظيفة التي خلقت من أجلها، ينجم عنه ضـمور عقيدة التوحيد، وبالتالي تداعي وانحطاط الحياة الاجتماعية لبني الإنســان، فيجيء الأنبياء ليوقظوا الفطرة، ويحطموا ما تكدس عليها من حجب، فيتحرر العقل من أغلاله، ويطل على الواقع من جديد، لينطلق في رحلة ممتدة بامتداد ما في هذا العالم من آيات الأنفس والآفاق.

وقد وصف الإمام على – رضي الله عنه – مهمة بعثة الرسل بقوله: " فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، لِيَسْــتَأْدُوهُمْ ميثاق فطرته، ويُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِــيَّ نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويُثِيروا لهم دفائن العقول، ويُرُوهم آيات المقدرة من ســقفٍ فوقهم مرفوع، ومهادٍ تحتهم موضــوع، ومعايش تُحْيِيهِمْ، وآجال تُفْنِيهِمْ "(١).

ومن ثم تحدث الإمـام عبد الحليـم محمـود عن مهمة الأنبيـاء والرسـل، والحكمة من إرسـالهم، فقال: " إن الحكمة في إرسال الرسل، إنما هي تبليغ آيات الله – تعالى –، أي تعاليمه وأحكامه وتكاليفه إلى بني البشر، إن الله – ﷻ – لم يرد أن يترك البشر دون هداية في الأمور الأساسية لبناء المجتمع وهي: العقيدة والأخلاق والتشريع، فأرسل لأهل الأرض الدستور السماوي الذي يؤدي اتباعه والعمل به إلى تزكية النفس وتطهيرها وصــفائها، فالأديان والرســل إنما كانوا لبيان الأســس والقواعد التي لا يقوم المجتمع الصــالح بدونها، وكانوا أيضًــا لمصــلحة الفرد التي تتمثل في الارتفاع إلى مســتوى التزكية

(١) شــرح نهج البلاغة: أبو حامد عز الدين بن هبة الله المدائني، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، جـ١، ص١١٤.

والطهر والصفاء.... فحكمة إرسال الرسل إذن إنما هي إسعاد المجتمع، وإسعاد الفرد، والرقي إلى المستوى الذي يرضاه الله لهما "(١).

كما أشار الشيخ محمود شلتوت – رحمه الله – إلى هذه المهمة، وإلى الهدف من بعثة الأنبياء ففقال: " وإذا كان رقيّ الإنسان الروحي الذي به انتظام شؤونه في الدنيا ووقوعها على وجه الحكمة والصواب، هو هدف الحكمة الإلهية من الرسالات إليه، وكان الإنسان من مبدأ الخليقة هو المخلوق الذي وُضِعَ في مكان الصدارة من الخلق، والذي ركبت فيه قوتا الخير والشر، كانت رسالة توجيهه إلى الخير وتقوية جانبه سنّةً إلهية في جميع أطواره...، ولذلك تعاقبت الرسالات على الإنسان "(٢).

وإن هذا يكشف لنا – بجلاء – عن طبيعة مهمة المرسلين، والتي تعني التبشير بوعي جديد يوقظ الناس ويخرجهم من غفلتهم، كيما يؤدون حق التوحيد الذي هو ميثاق فطري، ذلك أن الرسول لا يطلب من الناس التصديق بمعتقدات غريبة على وجدانهم، وإنما يهديهم الى ما تختزنه فطرتهم، من خلال عمله، بإزالة ما ترسب عليها من حجب وما أحاطها من أكنة حسب تعبير القرآن.

أما عن طرق إثبات النبوة، فتكاد كلمة جماهير المتكلمين تتفق على حصر دلائل النبوة في المعجزة، فنراهم يقررون أن: من شرط صحة المعرفة بالنبوة الوقوف على حد المعجزة؛ لأنه إنما يثبت صدقُ مدَّعِي النبوة بالمعجزات (٣)، وقد اشتهر عن المتكلمين اعتماد المعجزة مسلكًا إلى إثبات النبوة دون غيره من دلائل النبوة حتى عُدّ تقرير نبوة الأنبياء بالمعجزات من أشهر الطرق عند أهل الكلام والنظر.

---

(١) فتاوى الإمام عبد الحليم محمود، جمع: د/ منيع عبد الحليم محمود، ط٣، دار المعارف، القاهرة، جـ١، ص٨٠.

(٢) الإسلام عقيدة وشريعة: الإمام محمود شلتوت، دار الشروق، القاهرة، ط١٨، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، ص٣٤.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية: الإمام عبد الكريم القشيري، تحقيق: د/ عبد الحليم محمود، ود/ محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، جـ٢، ص٢١٧، ولمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة: الإمام أبو المعالي الجويني (إمام الحرمين)، تحقيق: فوقية حسين محمود، عالم الكتب، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ص١٢٤.

ومن أبرز من قرر اقتصار دلائل النبوة في المعجزة قول الإمام الجويني حين قال: " فإن قيل: هل في المقدور نصب دليل على صدق النبي غير المعجزة؟ قلنا: ذلك غير ممكن "(١)، ثم أخذ يسوق الاستدلال على هذا النفي.

فهذا توثيق لبعض مقالات المتكلمين إجمالا في الاقتصار على المعجزة في إثبات النبوة دون غيرها من دلائل النبوة، فالمتكلمون يكادون يطبقون على اعتماد المعجزة طريقًا لإثبات النبوة.

وهناك من ذهب إلى أن هناك طرقًا أخرى غير المعجزة لإثبات النبوة، ومنهم: الإمام الغزالي، وسعد الدين التفتازاني، وابن تيمية، والإمام أبو جعفر الطحاوي (٢)، إذ يرون دلائل ثبوت نبوة الأنبياء كثيرة، ولا تنحصر في المعجزة، بل يمكن التحقق من صدق دعوى النبوة بدلائل أخرى:

فهذا القيصر ـــ عظيم الروم- استدل على صحة دعوى نبوة الرسول - ﷺ- بتأمل صفات الرسول ﷺ، واستقراءِ أحوالِهِ من خلال أسئلته لأبي سفيان - رضي الله عنه- ثم قال: (قد كنت أعلم أنه خارج، ولكن لم أظن أنه منكم، وإن يكُ ما قلتَ حقا، فيُوشك أن يَمْلِك مَوْضِعَ قدمي هاتين، ولو أرجو أن أَخْلُصَ إليه لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، ولو كنت عنده لغسلت قدميه) (٣).

---

(١) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: الإمام أبو المعالي الجويني، تحقيق: محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي، القاهرة،١٣٦٩هـ،١٩٥٠م، ص٣٣١.

(٢) انظر: المنقذ من الضلال: الإمام أبو حامد الغزالي، تحقيق: د/ عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، مصر، ص١٨٥، وشرح المقاصد: سعد الدين التفتازاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، جـ٥، ص١٩، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: الإمام ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن وآخران، دار العاصمة، السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، جـ٦، ص٤٩٥، وشرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي: المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٣٩١هـ، ص١٤٩.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: باب دعاء النبي - (- إلى الإسلام والنبوة، حديث رقم ٢٧٨٢، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب كتاب النبي - (- إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، حديث ١٧٧٣.

وكذلك السيدة خديجة ـــ رضي الله عنها ـــ لما جاء النبي - ﷺ - من الغار بعد نزول الوحي عليه، وأخبرها الخبر، صـــدقت بنبوته - ﷺ -، وأيضًـــا ورقة بن نوفل ابن عمها، لما أخبره النبي - ﷺ - بما رآه من أمر الوحي، قال له: (هذا الناموس الذي نزله الله على موســـى)[1]، فهؤلاء اســـتدلوا على صـــدق نبوة نبينا محمد - ﷺ - ولم يروا معجزة ولا طلبوها.

بل إن السيدة خديجـة ـ رضي الله عنها ـ قالت للنبي - ﷺ - بعـد أن أخبرها بالوحي وقال لها: (لقد خشيت على نفسي)، فقالت: (كلا، أبشر، فواللهِ، لا يُخْزِيكَ الله أبدًا؛ فوالله إنك لَتَصِـــلُ الرَّحِمَ، وَتَصْــــدُقُ الحـــديثَ، وتَحْمِـــلُ الكَلَّ، وتَكْسِـــبُ المَعْدُومَ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ على نَوَائِبِ الحق)[2]، فلم تطلب منه - ﷺ - دليلا، ولا إثباتًا، ولا برهانًا، ولا معجزة، وإنما اســـتدلت بحالته وحياته، وأخلاقه، على صدقه ﷺ، فكانت عارفةً بأحواله التي تستلزم نفي كذبه، وتلاعُبِ الشيطان به.

وأبو بكر - رضي الله عنه - كان من أعقل الناس وأخبرهم، وكان مُعظّمًا في قريش لعلمه، وإحسانه، وعقله، فلما تبيّن له حالُه، علم علمًا ضروريًا أنه نبي صادق، وكان أكمل أهل الأرض يقينًا وعلمًا وحالا.

قال القاضـــي عياض: " وإذا تأمل المتأمل المنصـــفُ ما قدمناه من جميل أثره، وحميد سِـــيَرِه، وبراعة علمه، ورجاحة عقله وحِلْمِه، وجُمْلَةِ كماله، وجميع خِصـاله، وشَـاهِدِ حالِه، وصـوابِ مقاله، لم يَمْتَرِ (لم يشك) في صحة نبوته، وصدق دعوته "[3].

وهذا ما ذهب إليه الإمام عبد الحليم محمود فقال: " وإذا كان علماء الكلام يكادون يقصـــرون كلامهم في إثبات النبوة على المعجزة، فإن آفاقا من التفكير أوسع، وإشراقاتٍ من الإلهام أسمي، تتجه بالاستدلال إلى وسائل أخرى مضافة إلى المعجزة "[4].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الوحى، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله - (-، حديث٣.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: التعبير، باب: أول ما بدئ به رسول الله - (- من الوحي الرؤيا الصالحة، حديث٦٥٨١.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضي عياض، دار الفيحاء، عمان، ط٢، ١٤٠٧هـ، جـ١، ص٤٨٢.

(٤) الإسلام والعقل: د/ عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص٢٠٠.

ثم يشير – رحمه الله – إلى هذه الوسـائل على سبيل الإجمـال فيقـول: " يتفاوت الناس في طاقاتهم التي يثبتون بها النبوة، وعندنا عدة طرق تعبّر عن نفاستها في الاستدلال.... منها ما يرجـع إلى السـيرة الشخصية للرسـول – ﷺ –، ومنها ما يرجـع إلى تعاليمه العظيمة، ومنها ما يرجـع إلى ثقة أصحابه فيه، ومنها ما يرجـــع إلى التزامه هو – عليه السلام –، ومنها ما يرجع إلى الآثـــار الحميـــدة التي ترتبت على الرسـالة، ومنها ما يمزج بين بعض هذه الأدلـة، ومنها ما يجمع بينها "(١).

ويرى بأنه في إثباته للنبوة على هذه الكيفية إنما يتبع منهج القرآن، وأنه في اتباعه لهذا المنهج ليس بدعًـا فيه، فهذا المنهج اتبعه الإمـام الغـزالي من قبل، وكـذلك عالـم الاجتماع الكبير ابـن خلدون(٢).

ومع أننا نرى – كما يرى إمامنا– بأنه لا تنحصـر دلائل النبوة في المعجزة، بل يمكن التحقق من صدق دعوى النبوة بدلائل أخرى كما سبق بيانه، إلا أنه يمكننا أن نجمع بين أصحاب الرأيين السابقين حول طرق إثبات النبوة فنقول: إن المعجزة وحدها هي طريق لإثبات النبوة على المعاند والمكابر ومن في قلبه مرض، بينما الطرق الأخرى تُعد وسـائل أيضًـا لإثبات النبوة لهؤلاء العقلاء المنصفين الذين لم تنحرف فطرهم من أمثال أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والسيدة خديجة – رضي الله عنها –، وهرقل وغيرهم.

ومن خلال ما تقدم يتضـح لنا موقف الإمام عبد الحليم محمود واهتمامه في أن يتجه علم الكلام لإثبات شـأن النبوة بكل ما ورد في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشـريفة، ليصـل المرء إلى اعتراف يقيني بحقيقة النبوة، ومن ثم يصل إلى معرفةٍ ذات يقين كامل.

إن هذه النبوة وقت أن كانت ظاهرة ربانية تُنتج الإيمان في الحياة البشرية، وتطرح المعتقد كمعطي عملي نـاجز، مفعم بـالحيوية والفعـالية، من خلال دمج النظر بـالعمـل، وعـدم التفكيك بين التوحيد كحالة وجدانية والسـلوك الإنسـاني الذي يجسـد المحتوي التطبيقي للتوحيد في الحياة، لم يكن المؤمن

(١) دلائل النبوة: د/ عبد الحليم محمود، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، ص٣٢٩.

(٢) المرجع السـابق، ص٣٣٠، وانظر: المنقذ من الضـلال: الإمام أبو حامد الغزالي، تحقيق: د/ عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص١٨٥، ومقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون، دار ابن خلدون، الإسكندرية، ص٦٥.

محتاجًا لأن يحتفظ عقله بسلسلة من الإشكالات والبراهين بشأن التوحيد؛ لأن شعوره ووجدانه ممتلئ بشهود وحضور الله – تعالى– في كل صغيرة وكبيرة من أفكاره وأفعاله.

وهذا ما يريده إمامنا من المطالبة بالاهتمام بقضية النبوة وإثباتها في علم الكلام، فإذا أُثبتت النبوة بصفة عامة، وأبرزت حقيقة نبوته – ﷺ– بصفة خاصة، من خلال حياته قبل بعثته وبعدها، ومن خلال تبشير الكتب السماوية السابقة به، ثم من خلال ما ظهر على يديه من خوارق العادات، إذا أبرزت هذه الحقيقة، وآمن بنبوته – ﷺ– من اطمأن قلبه إلى تصديقه، آمن بالتالي بكل ما جاء به – ﷺ– من قضايا الإسلام [(١)].

هذا عن الأمر الأول الذي ينبغي أن يدور حوله علم الكلام عند الإمام عبد الحليم محمود، وأما الأمر الثاني والذي طالب الإمام بأن يدور حوله علم الكلام كذلك: فهو بشأن الدعوة والداعية، فالله – ﷻ– خلق الخلق وأسبغ عليهم نعمه، وسخر لهم ما في السماوات وما في الأرض؛ كل ذلك ليقوموا بعبادته – سبحانه– وتوحيده؛ ولذلك أرسل الرسل، وأنزل الكتب؛ ليبيِّنوا للناس كيف يعبدون ربهم، وكيف يوحِّدونه ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)(النساء: آية ١٦٥).

فالدعوة إلى الله – ﷻ– هي وظيفة الرسل والأنبياء، وهى مقام في الإسلام عظيمٌ جدًا؛ إذ هي أساس انتشاره، وركنٌ مهمٌ من أركان قيامه، فبالدعوة قام الإسلام وانتشر، واهتدى الناس له، وعرفوا ربّهم ووحدّوه، وتعلموا أمور دينهم، وأحكامه المختلفة، وبالدعوة تواجه كلّ العقائد الفاسدة، وتنشر العقيدة الإسلامية الصحيحة.

ونحن الآن في أشد الحاجة إلى الدعوة إلى الله؛ بسبب كثرة التضليل، وانتشار الإلحاد والفساد، ودعاة التنصير الذين ينتشرون في العالم، ويستغلُّون جهل الشعوب وفقرها لبثِّ شرورهم، والأخطر من ذلك انتشار الفرق الضالة التي تأخذ على عاتقها التشكيكَ في أصول العقيدة، ونشر البدع

---

(١) علم التوحيد عند خلّص المتكلمين: عبد الحميد عز العرب، دار المنار، القاهرة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ص٥٧.

والخرافات، وبُغْض الصحابة، والابتعاد عن منهج السلف، فأصبحت الأمة مهددةً من الداخل ومن الخارج؛ مما يتطلب دعاة مخلصين من علماء المسلمين؛ لردِّ كيد هؤلاء في نحورهم، وتبصير المسلمين بدينهم.

وهذا ما دفع الإمام عبدالحليم محمود في موقفه من علم الكلام إلى المطالبة باهتمام هذا العلم بالدعوة والداعية؛ لأن العقيدة هي أصل دعوات الرسل، إذ هي في حقيقتها الدعوة إلى الإيمان بكل صوره، وقد بين الله – تعالى – ذلك في كتابه حين قال (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)(الأنبياء: آية ٢٥)، وكما أنها أصل دعوة المرسلين فهي أيضًا أصل وحدة المسلمين والدعوة إليها هي في الحقيقة الدعوة إلى لب الدين وأصوله التي ينبني عليها بقية أموره، ومن هنا كانت الثقافة العقدية للدعاة من أهم الأولويات.

وقد أشار إلى هذا – رحمه الله – فقال: " وهي دعوة موحِّدة لا مفرِّقة؛ إنها دعوة نوح، وإبراهيم، وموسي، وعيسى – عليهم السلام –، (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ)(الشورى: آية ١٣)، وعلام الاختلاف والإسلام دعوة لا تهدف إلا إلى عبادة الله، وعدم الشرك به، وعدم اتخاذ أرباب من دونه (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)(آل عمران: آية ٦٤)، هذه الدعوة الإسلامية تقرر أصولا في ناحية العقيدة، وشعائر للعبادة، ومبادئ في القانون، وقواعد للأخلاق، والذي يعنينا هنا على الخصوص هو العقيدة "(١).

ويرى أن الدعوة الإسلامية آيات بينات في منطق الحق، وفي منطق العقول المستنيرة، ومن ثم يمكنها الانتقال بعلم الكلام القديم مما ران عليه من الجمود النظري والجفاف المنطقي، إلى حيوية الإيمان، إذ لم يعُد ممكنًا اليوم أن نتحدث عن علم الكلام بذلك الأسلوب المعقّد، الذي هو أشبه ما

(١) التفكير الفلسفي في الإسلام: د/ عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص٤٣.

يكون بالمعادلات الرياضية والحدود المنطقية، وإذا كان المتكلمون السابقون قد وجدوا في زمانهم ما يدعوهم لذلك المنهج، فإن واقعنا اليوم لم يَعُد يحتمل تكراره، لما يحتاجه المؤمن المعاصر من وضوح ويقين راسخ في عقيدتِه، فالإسلام – وعلى وجه الخصوص علم الكلام- بحاجة إلى عرضه عرضًا سهلا ميسرًا قويًا، وبأساليب متنوعة وصور مختلفة حتى نتلافى هذا التقصير الذى أبعده عن واقع الحياة (١).

وهذا ما تستطيع الدعوة الإسلامية تحقيقه؛ إذ إنها تحمل – كما يرى الإمام عبد الحليم محمود- في طياتها من القيمة الذاتية ما يفرضها، ويكتب لها الانتشار؛ وذلك أنها:

- تمتاز عن النصرانية المنتشرة – إذ ذاك – بنظام اقتصادي خلت منه الأنانية، وبمنطق عقلي لا يوجد فيما كان مأثورًا – حينئذ- من كلام المسيح – عليه السلام-، ثم هي تصحيح للمسيحية نفسها، التي كانت موجودة – إذ ذاك – محرفة، كما يذكر القرآن الكريم، وكما يثبت التاريخ.

- وهي تمتاز عما كان موجودًا – إذ ذاك- من اليهودية، وذلك لما فيها من بساطة، وتنزيه لله ورسله وأنبيائه، ثم هي رجوع باليهودية إلى الحق، قبل أن يحرفها أصحابها.

- وهي هداية للحنفاء إلى دين إبراهيم الذي يتطلعون إليه، ثم هي معصومة وليست رأيا، يجوز بالبحث أن يكون وهمًا من الأوهام، وهي – بعد كل ذلك- نظام كامل للحياة الإنسانية، فيها العقيدة، وفيها التشريع، وفيها الأخلاق، إنها ترضى العقل وترضى الوجدان، ومن ثم ما أحوج علم الكلام أن يدور حول هذه الدعوة (٢).

ويرى الإمام – رحمه الله- أن الداعية يجب عليه أن يتجه لعرض الثقافة والحضارة الإسلامية، وأن الدين لا يعارض العلم، وعلى المسلم الاعتزاز بحضارته، وأنها سيدة الحضارات، والمنقذة من التيه والضلال في غياهب المادية المؤدية إلى عدم الطمأنينة، ويوضح هذا في كتابه أوربا والإسلام، في

---

(١) انظر: الإسلام والعقل: د/ عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص٢٠٥، الإسلام وأوروبا والإسلام: الإمام عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ص٤٨.

(٢) التفكير الفلسفي في الإسلام: د/ عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص٤٠.

موضوع أثر الحضارة الإسلامية في أوربا، هذا الكتاب الذي عرض فيه تجاربه كداعية للإسلام، وجعل منه مثالا رائعًا للداعية الحق في دعوته.

كما يرى أن سيرة الرسول- ﷺ-، والمبادئ الإسلامية الصحيحة، وصدق الداعية، وفعاليته في منطقه من أهم الوسائل التي ينبغي أن يتجه إليها الدعاة للدين الإسلامي لنشرها وبيانها، وهي أيضًا من أهم الموضوعات التي يجب أن يتجه إليها علماء الكلام ليكون علم الكلام إسلاميًا حقا (١).

فالدعوة إلى الله – تعالى- من الواجبات الشرعية المأمور بها، والتي بها تكون خيريَّةُ الأمة الإسلامية، فلا بد إذًا أن يجتمع الدعاة إلى الله – تعالى- على هذه القاعدة، وإذا تأملنا دعوةَ كل الأنبياء والرسل –عليهم الصلاة السلام – من خلال القَصص الوارد عنهم في القرآن – ظهر لنا أنهم جميعًا متفقون ابتداءً على الدعوة إلى توحيد الله – تعالى- وإفراده بالعبادة، ثم بعد هذا الأمر ينطلق النبي والرسول بدعوة قومه بما هو أَولى لهم، وأهم في واقعهم، ولقد اتفقوا جميعًا على أصل الانطلاق الدعوي، نحو التغيير والإصلاح لأممهم وأقوامهم، ولنا فيهم الأسوة الحسنة، ومن ثم طالب الإمام عبد الحليم محمود بأن يدور علم الكلام في موضوعاته حول إثبات النبوة، وحول الدعوة إلى الله تعالى.

وأكد الإمام – رحمه الله- على وجهة نظره هذه، بأن هذا المنهج هو الذي وضعه القرآن الكريم، وسار عليه الرسول – ﷺ- وصحابته – رضوان الله عليهم-، بل وأصحاب الآفاق الواسعة من البشر في الوصول إلى معرفة الحقيقة بإثبات النبوة، ومعرفة حال الداعي، وقيمة الدعوة.

يقول – رحمه الله-: " وهذا الذي نذكره: إنما هو المنهج الذي اختطه القرآن، والآية الكريمة التالية: تجمع الجانبين، يقول الله – تعالى- (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ)(العنكبوت: آية ٤٨)، وهذا في شأن الداعي، وتستمر الآيات، فيقول الله – تعالى-(بَلْ هُوَ

---

(١) الإسلام والعقل: د/ عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص٢٠٨.

آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ)(العنكبوت: آية ٤٩)، وهذا في شأن الدعوة.

وهذا المنهج هو منهج الرسول - ﷺ- يتابع فيه القرآن، فإنه - ﷺ-حين أمر بالجهر بالدعوة تحدى العرب بصدقه: أي أنه - ﷺ- كان يبين صدق الداعي، وهذا المنهج: هو الذي اتبعه أصحاب الآفاق الواسعة من البشر في الوصول إلى تعرف الحقيقة عن طريق: حال الداعي، وقيمة الدعوة، وهو المنهج الذي نريد أن نلتزمه - إن شاء الله - تعالى- متخذين من الوسائل لذلك آراء بعض الذين اتبعوه""[1].

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن الإمام عبد الحليم محمود دعا إلى تطوير علم الكلام، من خلال رفضه لموضوعاته التقليدية - على حد تعبيره- والتي تقوم على الجدل في المتشابهات، من أمثال: الحديث عن الصفات، والقدر وغيرهما؛ كي لا يكون ذلك مدخلا لأهل الأهواء والبدع لإفساد الاعتقاد في وجدان عامة الناس، وكي نقضى على سبب من الأسباب التي أدت إلى تفريق المسلمين.

ولكي يصبح هذا العلم قادرًا على مواجهة التحدّيات التي يتعرض لها الإسلام، وجه الإمام - رحمه الله- موضوعات علم الكلام إلى قضايا النبوة، والداعي، والدعوة بكل تفاصيلها ومناهجها، على أن تكون هذه هي الموضوعات التي ينبغي على علم الكلام أن يدور حولها حتى يكون ذا بعد إسلامي.

(١) الإسلام والعقل: د/ عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص١٧٨.

الخاتمــة

وأخيرا وفى نهاية رحلتي مع هذا البحث، والذي حاولت فيه – قدر استطاعتي وجهدي– أن أعطى صورة واضحة ومفصلة حول موقف الإمام عبد الحليم محمود من علم الكلام، أصل إلى أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث:

- ما ورد عن السلف الصالح من نصوص تنهى عن الاشتغال بعلم الكلام وتذمه، محمولة على من استخدم هذا العلم على طريقة أهل الأهواء والبدع، وخالف أهل السنة من القدرية والجبرية والمشبهة والمجسمة وغيرهم، وليس النهي الوارد على الإطلاق.

- كل كلام يخالف الكتاب والسنة فهو هَذَيَانٌ، وكل كلام يوافقهما فهو الجِدُّ، وكلام أهل السنة كما علمنا موافق للكتاب والسنة، فهو الجد بلا شك، ومن ثم يتضح لنا رجحان رأي أصحاب الاتجاه الأول وهو الأخذ بعلم الكلام وتعلمه.

- يرى الإمام عبد الحليم محمود أن علم الكلام ابتعد كثيرًا عن القرآن الكريم واقترب من الفلسفة.

- يتلخص موقف الإمام عبد الحليم محمود من علم الكلام في موقفين: **الأول**: يتبنى من خلاله ذم المشتغلين بعلم الكلام، واعتباره بدعة، معضدًا ذلك بنقولات متعددة من أئمة السلف، وهذا بالنسبة لعلم الكلام القائم على الجدل العقيم، والموقف **الثاني**: يتلخص في أمرين: الأول: يسلك من خلاله مسلك علماء الكلام في أثناء عرضه لبعض مسائل العقيدة، والأمر الثاني: هو ما ينبغي أن يكون عليه علم الكلام.

- لم ينكر الإمام الغزالي البحث في علم الكلام – كما ادعى الإمام عبد الحليم محمود– على الإطلاق، بل جعل البحث فيه وتعلمه من فروض الكفاية.

- إن الأئمة الأربعة (أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل) – رضي الله عنهم– مع غلبة الفقه والحديث عليهم، إلا أنه لم تخل مذاهبهم من آراءٍ كلامية، ومن الخوض في علم الكلام، فقد اهتموا به وبمسائله، وكانت لهم آراء كلامية جديرة بالاعتبار.

- إن موقف الإمام عبد الحليم محمود من علم الكلام كموقف الأئمة ﷺ، فلم يرفض الإمام - رحمه الله- علم الكلام كليًا، وإنما جاء رفضه لعلم الكلام القائم على الجدل العقيم، والذي أدى إلى ظهور نزعة التكفير بين بعض أصحابه، ووقوع الفتنة والفرقة بينهم.

- إن هذا الموقف للإمام عبد الحليم محمود لا يمنع من أن يكون رائدًا من رواد علم الكلام؛ إذ إن رفضه لعلم الكلام - كما بينا- يضعه في مقدمة علماء الكلام؛ لأن نقد علم الكلام وبيان ما فيه لا يتم إلا بإتقان هذا العلم.

- ذهب الإمام عبد الحليم محمود إلى أن مسألة وجود الله - تعالى- بدهية فطرية؛ إذ وجوده - سبحانه- أوضح وأظهر من أن يحتاج إلى دليل، وأن تقديس الله - تعالى- ينأى بالمؤمن عن أن يتخيل - مجرد تخيل- أن الله - تعالى- يحتاج إلى إثبات وجوده.

- عدّ الإمام عبد الحليم محمود البحث في موضوع الصفات الإلهية من مشكلات علم الكلام، والتي تسببت في وقوع الاختلاف والجدل والافتراق بين المسلمين.

- وقف الإمام عبد الحليم محمود من خلافات المتكلمين في الصفات الإلهية موقفًا فيه تنبيه شديد، بأن حركة الفكر الإسلامي في مبحث الصفات الإلهية وفي مجال الغيبيات عمومًا تحتاج إلى مرتكز ثابت، لن تجده في مصطلحات الفكر أو الفلسفات التي اخترعها العقل الإنساني، وإنما تجده في الوحي الإلهي المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

- الاعتماد في معرفة القدر وحدوده على الكتاب والسنة، وترك الاعتماد في ذلك على نظر العقول ومحض القياس؛ إذ العقل الإنساني لا يستطيع بنفسه أن يضع المعالم والركائز التي تنقذه في هذا الباب من الانحراف والضلال.

- لا تعارض بين النهي عن الخوض في القدر وبين أهمية تعلمه وتعليمه ودراسة مسائله، وذلك أن النهي يتناول التحذير من الوقوع في مخالفات شرعية، بخلاف تعلم مسائل القدر، الذي هو أصل من أصول الإيمان التي لابد من تعلمها وتعليمها، وتربية الأمة عليها؛ لما في ذلك من الثمرات العظيمة والفوائد الجليلة.

- بعد أن اتبع الإمام عبد الحليم محمود منهج السلف في تفويض موضوعات علم الكلام التقليدية – على حد تعبيره– لله – تعالى–، وجه موضوعات هذا العلم إلى قضايا النبوة، والداعي، والدعوة بكل تفاصيلها، على أن تكون هذه هي موضوعات علم الكلام حتى يكون ذا بعد إسلامي، ويكون قادرًا على مواجهة التحدّيات التي يتعرض لها الإسلام.

- دعا الإمام عبد الحليم محمود إلى تجديد علم الكلام عن طريق رفضه لموضوعاته التقليدية، والتي طالب بحذفها من هذا العلم، ثم طالب بأن يدور في موضوعاته حول إثبات النبوة، والدعوة إلى الله – تعالى–، وأكد الإمام – رحمه الله– بأن ما دعا إليه هو المنهج الذي وضعه القرآن الكريم، وسار عليه الرسول – ﷺ– وصحابته رضوان الله عليهم.

وفي الختام أحمد الله – عز وجل– على توفيقه إياي للكتابة في هذا الموضوع، فله الفضل كله، وإليه يرجع الأمر كله، ولا يسعني إلا أن أقول: ما كان من صواب فمن الله وحده وبفضله وتوفيقه، وما فيه من خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان، إذ قلما يخلو بحث من الهفوات، أو ينجو مؤّلف من العثرات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ثبت المصادر والمراجع

١- إتمام الدراية لقراء النُقاية: الإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق: إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٢- أحاديث في ذم الكلام وأهله: أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد المقرئ، تحقيق: ناصر الجديع، دار أطلس للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٣- إحياء علوم الدين: الإمام أبو حامد الغزالي، تحقيق: سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٤- أوربا والإسلام: د عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٩٣م.

٥- أصالة علم الكلام: محمد صالح السيد، دار الثقافة والنشر، القاهرة، ١٩٨٧م.

٦- أصول الدين: الإمام أبو منصور عبد القاهر البغدادي، مطبعة الدولة، إستانبول، ط١، ١٣٤٦هـ، ١٩٢٨م.

٧- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: الإمام أبو المعالي الجويني، تحقيق: محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٦٩هـ، ١٩٥٠م.

٨- الأزهر في ألف عام: محمد عبد المنعم خفاجي، علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م، ١٤٣٢هـ.

٩- الإسلام عقيدة وشريعة: الإمام محمود شلتوت، دار الشروق، القاهرة، ط١٨، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

١٠- الإسلام والعقل: د/ عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٩٨م.

١١- الاقتصاد في الاعتقاد: الإمام أبو حامد الغزالي، تحقيق: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

١٢- الاقتصاد في الاعتقاد: الإمام أبو حامد الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

١٣- الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود: محمد خالد ثابت، دار المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٥م.

١٤- الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين: محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٥- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع: جلال الدين السيوطي، تحقيق: ذيب بن ناصر القحطاني، مطابع الرشيد، ١٤٠٩هـ.

١٦- إلجام العوام عن علم الكلام: الإمام أبو حامد الغزالي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٣٨هـ، ٢٠١٧م.

١٧- تاريخ الفلسفة في الإسلام: دي بور، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو رَيْدَه، دار النهضة العربية، بيروت، ١٣٧٤هـ، ١٩٥٤م.

١٨- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام: محمد على أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٩- التأملات في الفلسفة الأولى: رينيه ديكارت، ترجمة: عثمان أمين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩م.

٢٠- تتمة الأعلام للزركلي: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ط٢، ١٤٢٢هـ.

٢١- تَشْنِيفُ المَسَامِع بِجَمْع الجَوَامِع لتاج الدين السُّبكي: الإمام بدر الدين الزركشي، تحقيق: سيد عبد العزيز، عبد الله ربيع، مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٢٢- تفسير المنار: الشيخ محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.

٢٣- التفكير الفلسفي في الإسلام: د/ عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ط٢.

٢٤- تقريب الاقتصاد في الاعتقاد: د/ عبد الحميد عز العرب، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٢٥- التوحيد عند خلص المتكلمين: عبد الحميد عز العرب، دار المنار، القاهرة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٢٦- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: الإمام ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن وآخرون، دار العاصمة، السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٢٧- الحمد لله هذه حياتي: الإمام عبد الحليم محمود، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩م.

٢٨- دلائل التوحيد: الشيخ محمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م.

٢٩- دلائل النبوة: د/ عبد الحليم محمود، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٣٠- ذم الكلام وأهله: أبو إسماعيل الهروي، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٣١- رسالة التوحيد: الإمام محمد عبده، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م.

٣٢- رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام: الإمام أبو الحسن الأشعري، دائرة المعارف النظامية، الهند، ط٢، ١٣٤٤هـ، الطبعة التي مع كتابه اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع: الإمام أبو الحسن الأشعري نشر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٣م.

٣٣- الرسالة القشيرية: الإمام عبد الكريم القشيري، تحقيق: د/ عبد الحليم محمود، ود/ محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.

٣٤- الرسالة اللدنية: الإمام أبو حامد الغزالي، مطبعة كردستان العلمية، مصر، ١٣٢٨هـ.

٣٥- سير أعلام النبلاء: الإمام شمس الدين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٣٦- شرح العقائد النسفية: سعد الدين التفتازني، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٣٧- شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي: المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٣٩١هـ.

٣٨- شرح الفقه الأكبر: الإمام أبو منصور الماتريدي، تحقيق: عبد الله الأنصاري، طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٢١هـ.

٣٩- شرح المقاصد: سعد الدين التفتازاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٤٠- شرح نهج البلاغة: أبو حامد عز الدين بن هبة الله المدائني، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٤١- شيوخ الأزهر: سعيد عبد الرحمن، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة.

٤٢- الشـريعة: أبو بكر محمد بن الحسـين الآجُرِّيُّ، تحقيق: عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٤٣- الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضي عياض، دار الفيحاء، عمان، ط٢، ١٤٠٧هـ.

٤٤- العـالم والمتعلم: الإمام أبو حنيفة النعمان، تحقيق: عبد الوهاب الندوي وزميله، مكتبة الهدى، حلب، ط١، ١٩٧٢م، وتحقيق: محمد زاهد الكوثري، مطبعة الأنوار، القاهرة، ط١، ١٣٦٨هـ.

٤٥- عقيدتنا: د/ محمد ربيع جوهري، طبعة وزارة الأوقاف، القاهرة، ١٩٩٧م.

٤٦- الغُنية في الكلام: أبو القاسم سلمان بن ناصر النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد الهادي، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

٤٧- فتاوى الإمام عبد الحليم محمود، جمع: د/ منيع عبد الحليم محمود، ط٣، دار المعارف، القاهرة.

٤٨- الفتاوى الحديثية: ابن حجر الهيتمي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

٤٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري: الإمام ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٥٠- الفيلسوف نصير الدين الطوسي: عبد الأمير الأعسم، دار الأندلس، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

٥١- كتاب أصول الدين: جمال الدين الغزنوي، تحقيق: عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٥٢- كتاب المواقف: عضد الدين الإيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٥٣- الكشـف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة: ابن رشـد، تحقيق: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٥٤- المدرسـة الشـاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسـن الشـاذلي: د/ عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

٥٥- المُسامَرة في شرح المُسَايرة في علم الكلام: كمال الدين ابن الهمام الحنفي، ومعه حاشية على المسايرة، لزين الدين القاسم بن قطلوبغا، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

٥٦- المستصفى: الإمام أبو حامد الغزالي، تحقيق: محمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٥٧- الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٥٨- المنقذ من الضلال: الإمام أبو حامد الغزالي، تحقيق: د/ عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، مصر، وتحقيق: محمد محمد جابر، المكتبة الثقافية، بيروت.

٥٩- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: أبو العباس المقريزي، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤١٨هـ.

٦٠- الموجز في أصول الدين: السيد محمد باقر الصدر، تحقيق: عبد الجبار الرفاعي، دار سعيد ابن جبير، ط١، ١٤١٧هـ.

٦١- لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة: الإمام أبو المعالي الجويني (إمام الحرمين)، تحقيق: فوقية حسين محمود، عالم الكتب، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٦٢- مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون، دار ابن خلدون، الإسكندرية.

٦٣- من أعلام العصر: محمد رجب البيومي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٦٤- مناقب الإمام الشافعي: الإمام فخر الدين الرازي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٦٥- نهاية الإقدام في علم الكلام: الإمام الشهرستاني، تحقيق: الفريد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٦٦- وجهة العالم الإسلامي (مشكلات الحضارة): مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٤٣١هـ، ٢٠٠٢م.

٦٧- اليهودية: أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٨، ١٩٨٨م.

٦٨- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر: الإمام عبد الوهاب الشعراني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

فهرس موضوعات البحث

المحتويات